

بين الأئمة الإسلامية

حسن عدد الوهاب

زِينَةُ الْأَشَارِ الْأَسْلَامِيَّةِ

حَسَنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ
مُفَتِّشُ الْأَشَارِ الْعَرَبِيَّةِ

الجمهورية العربية السورية

مصر الإسلامية

إن امتياز مصر بما حوته من مجاميع أثرية جعل لها المقام الأول بين بلاد العالم ، فقد تمثلت في تلك المجاميع مختلف الحضارات المتعاقبة عليها ، وهي أصدق مقياس لمقدار رقيتها وحضارتها . ومصر الإسلامية قد احتفظت بالكثير من أخطاطها ، وأسواقها ، وفنونها ، وآثارها ، فيجد الباحث في تاريخها ، وتاريخ العمارة الإسلامية ، مادة غزيرة للدرس ، حيث يرى العمارة الإسلامية والصناعات . ممثلة تمثيلاً كاملاً . لكافة عصورها منذ الفتح الإسلامي . حتى وفاة المغفور له محمد علي باشا الكبير . فلا عجب أن تستهوى بجمالها هواة الفنون ومحبي الآثار . وفي هذه الكلمة أتناول الآثار الفنية بهندستها وفنونها . متخيراً من كل عصر أحسنه . ليقف زائرنا على تطور العمارة الإسلامية وتذوق جمالها .

جامع عمرو بن العاص

إذا راعينا التسلسل التاريخي للآثار الباقية — وجب علينا البدء بجامع عمرو بن العاص بمدينة الفسطاط ، لأنه أول جامع أنشئ بالديار المصرية عقب فتحها — فقد أنشأه القائد العظيم عمرو ابن العاص فاتح مصر سنة ٢١ هـ (٦٤٢ م) ، وكان وقتئذ جامعاً صغيراً بسيطاً مساحته ٣٠ × ٥٠ ذراعاً ، ثم توالى عليه الزيادات إلى أن أمر والي مصر عبد الله بن طاهر سنة ٢١٢ هـ (٨٢٧ م) بتوسيعه ، فأضيف إلى أرضه مساحة مثلها . فبلغت مساحته ١١٢ × ٥٠ ر٥٠ ١٢٠ متراً ، وهي مساحته الحالية . أي بزيادة ١٦ مرة عن مساحته الأولى عند تأسيسه .

ولكن العناية بهذا الجامع من توسيع وتجديد أولاً ، ثم الحنّ التي أصابته ثانياً ، جعلت منه اليوم مسجداً عثمانياً يعقوده الداخلية التي بنيت خطأً في اتجاهها . ققطعت في شبائكه القديمة بالجدار الشرقى . وبمنارتيه الباقيتين ، وكل ذلك من أثر عمارة الأمير مراد بك سنة ١٢١٢ هـ (١٧٩٧ م) . غير أنه بقي من الجامع القديم أخشاب منقوشة تسبق العصر الفاطمى ، كما بقيت منه شبائك جصية ومحراب جصى ، بوجهته الغربية ، ترجع إلى سنة ٧٠٣ هـ (١٣٠٣ م) .

وقد ثبت أن الجامع في نهاية القرن السابع الهجرى ، (الثالث عشر الميلادى) كان يشتمل على سبعة أروقة في الإيوان الشرقى . أعاد مراد بك بناء ستة منها . ومثلها في الإيوان الغربى . جدد منها رواقاً واحداً ، كما كان في كل من جانبيه القبلى والبحرى خمسة أروقة لم يبق منها شيء ، وكان له خمس منارات وثلاثة عشر باباً .

ولا تقتصر أهمية جامع عمرو على أنه أول جامع أنشئ بالديار المصرية ، فهو أيضاً أقدم جامعة إسلامية ، ظلت تؤدى رسالتها مدة تسعة قرون ، كما كان به بيت المال لإيداع أموال اليتامى ، وكانت تعقد فيه جلسات المحاكم لفض المنازعات الدينية والمدنية .

مقباس النيل بجزيرة الروضة

هو ثانى أثر باق ، وفي الواقع هو أقدم أثر إسلامى فى مصر احتفظ بتفاصيله ، وهو فى أنف جزيرة الروضة ، أمر بإنشائه الخليفة العباسى المتوكل على الله ، بإشراف المهندس القدير أحمد بن محمد الحاسب سنة ٢٤٥ — ٢٤٧ هـ (٨٦١ م) ليعرف به زيادة ماء النيل وقت الفيضان ، وكان بمقتضاه يجبى الخراج للتاج . وعلى مقدار زيادة هذا الماء يتوقف رخاء المصريين ورفاهيتهم .

الدولة الطولونية سنة ٢٥٤ — ٢٩٢ هـ (٨٦٨ — ٩٠٤ م)

استقلت هذه الدولة بحكم مصر بفضل مؤسسها أحمد بن طولون الذى أنشأ مدينة القطائع ،

وقصره ، والميدان . وأنشأ المسجد ودار الإمارة والبيمارستان وقناطر المياه . ولم يبق من منشآته سوى أجزاء من قناطر المياه التى أنشأها قبل سنة ٢٦٣ هـ (٨٧٦ م) جهة البساتين ، ثم مسجده الكبير .

الجامع الطولونى — بمصر — أحمد بن طولون

هو ثالث جامع أنشئ للجمعة والجماعة فى مصر . ويعتبر من أقدم الجوامع المحتفظة بتفاصيلها العمرية ، شرع فى بنائه أحمد بن طولون سنة ٢٦٣ هـ (٨٧٦) و فرغ منه سنة ٢٦٥ هـ (٨٧٨ م) وهو على شكل مربع تقريباً ضلعه ١٦٢ر٢٥ × ١٦١ر٥٠ ، وفى هذا الجامع تتجلى عظمة العمارة الإسلامية ، وقد اشتمل على أغنى مجموعة من الزخارف الجصية التى اعتبرت أساساً لتطورها فى مصر ، كما توجد به مجموعة كبيرة من الشبايك الجصية ، تنوعت أشكالها ، وامتاز على مساجد مصر بمنارته ذات السلم الخارجى ، وهى التى أعاد إنشاءها السلطان لاجين المنصورى سنة ٦٩٦ هـ (١٢٩٦ م) على مثال منارته القديمة . وهو الذى قام أيضاً بأهم عمارة بهذا الجامع بقى منها القبة بوسط الصحن ، والمنبر الذى يعد طرفه من طرف النجارة ، والقبة أعلى الحراب والفسيفساء المذهبة بتجويفه . ومن بدائع صناعة الجص فى هذا المسجد الحراب المستنصرى الذى أنشأه الأفضل شاهنشاه حوالى سنة ٤٨٧ هـ (١٠٩٤ م) .

الدولة الفاطمية سنة (٣٥٨ — ٥٦٧ هـ) (٩٦٩ — ١١٧١ م)

مؤسس هذه الدولة فى مصر هو الخليفة الفاطمى العز لدين الله ، وفى أيام هذه الدولة أخذت أنوار الحضارة الإسلامية تنبثق من هذه المدينة الزاهية على أرجاء الأرض ، وأخذ الفن الإسلامى يتألق من جميع نواحيه . وكانت أيامهم كلها أعياداً بما ابتكروه من حفلات جمعت بين جلال الملك وطرب الشعب وبهجته .

وهذه الدولة — وإن كان الزمن قد اعتدى على أكثر منشآتها المدنية وأهمها القصران والناظر فأبادها — إلا أنه أبقى على بعض منشآتها الحربية والدينية والكثير من طرفها الأثرية .

وأهم الآثار الباقية أسوار القاهرة وأبوابها ، التي أعاد إنشاءها الوزير الكبير بدر الجمالى ، وأهم قسم باق منها باب النصر و باب الفتوح المنشآن سنة ٤٨٠ هـ (١٠٨٧ م) والسور بأبراجه وشرقاته بينهما ، وفى هذين البابين والسور المتصل بهما تمثلت عظمة التحصينات كما تمثلت روعة العمارة الإسلامية . ومن هذه الأبواب باب زويلة الذى أنشأه بدر الجمالى أيضاً سنة ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م) ، وقد دل التنوع الغريب فى الأبواب الثلاثة على براعة المهندس .

ويقوم إلى جانب باب الفتوح جامع الحاكم بأمر الله الذى أنشأه الخليفة الفاطمى العزيز بالله سنة ٣٨٠ هـ (٩٩٠ م) وآمنه ابنه الحاكم وافتتحه للصلاة سنة ٤٠٣ هـ (١٠١٢ م) . وهذا المسجد وإن كان أصابه تخریب كبير ، إلا أن الزمن أبقى على قسم كبير من إيوانه الشرقى بكتابات الكوفية وعلى قاعدة القبة فوق المحراب بكتابات وشبايكها ، كما أبقى على منارتيه المعتبرتين من أقدم المنارات فى مصر ، وقد حفلتا بشتى النقوش والكتابات ، وقام ببيرس الجاشنكير ببناء قمتها الظاهرتين ضمن عمارته للجامع سنة ٧٠٣ هـ (١٣٠٣ م) .

وقد أنشأت هذه الدولة عدة مشاهد لأهل البيت وغيرهم امتازت بتصميم خاص ، منها : المشهد المعروف بالجيوشى فوق جبل المقطم . الذى أنشأه بدر الجمالى سنة ٤٧٨ هـ (١٠٨٥ م) ، وقيل ابنه الأفضل شاهنشاه ، وتصميم هذا المشهد غريب . وامتاز بمحرابه الحافل بنوع مخصوص من الكتابات الكوفية والزخارف الجصية المتنوعة وبدعائم جانبيه المنتهية بقباب صغيرة ، ومشهد أخوة يوسف جهة الأبيجة المنشأ فى النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى . وامتاز بتصميمه وزخارف محاريبه ، ومشهد السيدة رقية بشارع الخليفة المنشأ سنة ٥٢٧ هـ (١١٣٢ م) ، وامتاز بجمال تابوته ومحرابه الخشبيين ، وقد أمرت بعملهما السيدة علم الأمرية سنة ٥٣٣ هـ (١١٣٨ م) . وقد أودع المحراب دار الآثار العربية ، لأنه من المحاريب المتقلة ، وهو من بدائع صناعة النجارة . ومع ما أصاب مساجدها من تخریب ، فإن بقاياها توحى بما كانت عليه من روعة . وتنحصر فى جوامع الأزهر ، والأقمر ، والصالح طلائع .

الجامع الأزهر — مبراه الأزهري

هو أول جامع أنشئ بمدينة القاهرة ، أنشأه القائد جوهر الصقلي باسم سيده المعز لدين الله سنة ٣٥٩ هـ (٩٧٠ م) . وانتهى العمل منه وأقيمت به أول جمعة في ٧ رمضان سنة ٣٦١ هـ (٩٧٢ م) . ولكن الجامع الذي نراه اليوم ليس كله بالجامع الفاطمي الذي وضع أساسه جوهر ، بل هو مجموعة من المنشآت ضمت إليه في أوقات مختلفة ، ولذلك سنقف أمام تفاصيله المختلفة لتتولاه بالشرح : فالباب الغربي الكبير من إنشاء الأمير عبد الرحمن كتنخدا سنة ١١٦٧ هـ (١٧٥٣ م) ، وباجتيازه نرى مدرستين : اليمنى منهما المدرسة الطيرسية التي أنشأها الأمير علاء الدين طيرس الخازنداري سنة ٧٠٩ هـ (١٣٠٩ م) ، وقد جدد وجهتها عبد الرحمن كتنخدا ، وبقي بها محراب من أنفاس المحاريب الرخامية بدقة رخامه وفيسفائه المذهبة . واليسرى مدرسة الأمير أقبغا عبد الواحد التي أنشأها سنة ٧٤٠ هـ (١٣٤٠ م) ، وحولت إلى مكتبة للأزهر سنة ١٣١٤ هـ (١٨٩٦ م) ، ويستريح النظر فيها جمال مدخلها ومحاريبها برخامها الدقيق وفيسفائها المذهبة ، ويتوسط المدرستين باب حافل بالكتابات والنقوش حل محل المدخل القديم للأزهر ، جدد إنشاءه السلطان قايتباي ، وأنشأ المنارة على يمينه سنة ٨٧٣ هـ (١٤٦٨ م) ، وهي من أرشق منارات مصر .

وباجتياز هذا الباب نصل إلى صحن الجامع ، وقد أحيطت به عقود هي من الإضافات التي زيدت عليه في مبدأ القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) — وخلفها الأكتاف الأصلية للجامع . ويتوسط القسم الشرقي من هذه الإضافة قبة حلل داخلها بشتى الزخارف والكتابات ، وهي تؤدي إلى مجازيشق الأيوان الشرقي إلى المحراب القديم . وعقود هذا المجاز بزخارفها وكتابات ، والمحراب القديم بزخارفه وكتاباته ، وبقايا الزخارف الجصية بجدرانها الشرقية والقبليّة والبحرية هي الباقية من عصر إنشاء الجامع . أما بقية عقود وسقوفه فقد توالى عليها التجديدات . والقسم الشرقي خلف المحراب القديم من إضافة عبد الرحمن كتنخدا سنة ١١٦٧ هـ (١٧٥٣ م) ، وهو الذي

أنشأ أيضاً باب الشربة و باب الصعايدة بمنارتيهما ، وقد جدد الخديو اسماعيل الباب الثانى منهما سنة ١٢٨٢ هـ (١٨٦٥ م) ، كما جدد الخديو توفيق أروقة القسم المذكور سنة ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨ م) واحتفظ بمحرابه ومنبره .

وفى النهاية الشرقية للجدار البحرى المدرسة الجوهريّة التى أنشأها الأمير جوهى القنقبائى خازندار الملك الأشرف برسباى قبل سنة ٨٤٤ هـ (١٤٤٠ م) ، وهى مدرسة صغيرة ولكنها اشتملت على جميع تفاصيل المدرسة لاشتمالها على أربعة إيوانات يتوسطها صحن مفروش بالرخام ، وطُعمت نجارتها بالسن ، كما حُلّيت قبتها الحجرية من الخارج بنقوش مورقة ، وحينما نهم بالخروج من الإيوان الشرقى نرى ثلاث منارات : اليمنى منارة المدرسة الاقبعاوية . والثانية منارة السلطان قايتباى ، والثالثة منارة السلطان الغورى ، وهى المزدوجة الرأس ، وقد أنشأها سنة ٩١٥ هـ (١٥١٠ م) وامتازت بوجود سُلمين فيما بين دورتيها الأولى والثانية لا يرى الصاعد فى أحدهما الآخر ؛ وهى إحدى النكت الفنية فى العمارة الإسلامية .

الجامع الأحمر — بشارع النحاسين

أنشأه الخليفة الفاطمى الأمر بأحكام الله سنة ٥١٩ هـ (١١٢٥ م) . ووجهته الحجرية من أجل الوجّهات كما أنها فريدة فى نوعها ، وقد حفلت بمختلف النقوش والمقرنصات والكتابات الكوفية المشتعلة على اسم الأمر بأحكام الله ووزيره أبى عبد الله محمد بن قاتك ، أما المنارة القائمة على يسار بابه فهى من أثر عمارة الأمير يلبنى السالى سنة ٧٩٩ هـ (١٣٩٧ م) .

جامع الصالح طمّوع — بميدان باب زويلة

هذا الميدان حافل بمجموعة أثرية عظيمة من الآثار الإسلامية ؛ إذ يشرف عليه باب زويلة — أحد أبواب القاهرة الفاطمية — وفوقه منارتا الجامع المؤيدى ، وأمامه زاوية السلطان فرج

ابن برقوق المنشأة سنة ٨١١ هـ (١٤٠٨ م) . وقبلها منازل وقصبة رضوان المنشأة سنة ١٠٦٠ هـ (١٦٥٠ م) ، وهي أجمل سوق قديمة باقية في مصر .

أنشأ هذا الجامع الصالح طلائع بن رزيك الوزير الفاطمي ، وفرغ من بنائه سنة ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م) . وقد اشتمل على مميزات عمارية قل أن تتوافر في مسجد فاطمي آخر ، إذ حليت وجهاته الثلاث بعقود وكتابات كوفية ، كما ألحق به في الجهة الشرقية مشهداً لرأس الأمام الحسين ولم يمكنه الخليفة الفاطمي وقتئذ من دفنه فيه ، ودفنه في المشهد المعروف به ، ومن أهم العمارات التي أجريت بهذا المسجد تلك العمارة التي أجراها الأمير بكتمر الجوكندار سنة ٥٧٠٢ هـ (١٣٠٢ م) . وهو الذي عمل منبره الحالي سنة ٦٩٩ هـ (١٢٩٩ م) .

الدولة الأيوبية سنة ٥٦٧ — ٦٤٨ هـ (١١٧١ — ١٢٥٠ م)

مؤسس هذه الدولة في مصر ، هو صلاح الدين يوسف بن أيوب خصم الصليبيين وقاهرهم ، والذي أخذ على عاتقه هو وأفراد أسرته أن يقف حجر عثرة في سبيل الصليبيين حتى كانت أيامه وأيام خلفائه كلها فتحاً وجهاداً .

ظلت مصر خاضعة للأيوبيين نحو ثمانين عاماً ، ازدهرت فيها العمارة والفنون الإسلامية ، ولكن مع الأسف عفت معظم منشآتهم ، وبقى عدد قليل منها غير كامل ، ولكنه على قلته يعطينا فكرة صريحة عن ازدهار العمارة والفنون في هذه الدولة . وأهم ما بقي منها في مصر بقايا قلعة صلاح الدين وأسواره ، وقبة الإمام الشافعي ، وتابوت المشهد الحسيني ، والمدرسة الصالحية ، وتربة اسماعيل بن ثعلب ، وقبتا شجر الدر والخلفاء العباسيين .

قلعة الجبل — بميدان صلاح الدين

أمر صلاح الدين بإنشاء القلعة وبناء أسوار حول مصر والفسطاط تربطهما بأسوار القاهرة ، وعهد في تنفيذ هذا المشروع إلى وزيره بهاء الدين قراقوش ، فبدأ في إنشاء القلعة سنة ٥٧٢ هـ

(١١٧٦ م) ، وظلّ العمل جارياً فيها وفي الأسوار حتى وفاة صلاح الدين سنة ٥٨٩ هـ (١١٩٣ م) ، ثم غنى الملك العادل وابنه الملك الكامل محمد بإتمام عمارة القلعة واتخاذها مقراً للملك . وقد حفرت داخل القلعة بئر للتزود من مائها إذا ما قدر للقلعة أن تحاصر ، وهي المعروفة بالحلزون ويبلغ عمقها حوالي ٩٠ متراً . وكانت المياه تصل إلى القلعة عن طريق قناطر المياه . ظلت القلعة مقراً للملك منذ إنشائها حتى عصر الخديو اسماعيل ، فهو أول من اتخذ قصر عابدين العامر مقراً للملك .

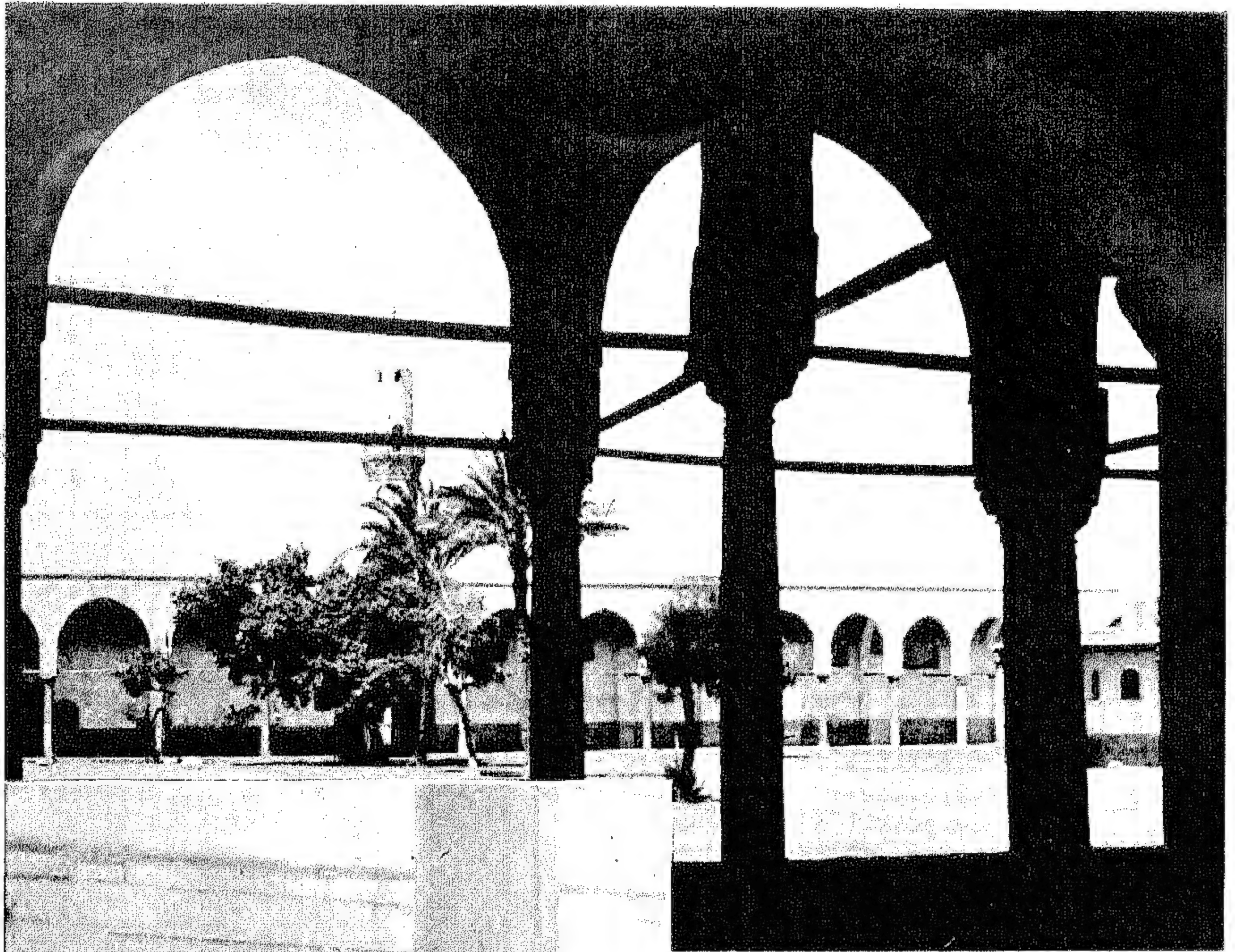
وإلى يومنا هذا تتمثل في القلعة الأدوار التي مرت بها في مختلف العصور ممثلة في أبوابها ، وأسوارها ، وأبراجها ، ومساجدها ، وبقايا قصورها ، ونصوصها التاريخية وأقدمها نص تاريخي على باب المدرج باسم صلاح الدين مؤرخ سنة ٥٧٩ هـ (١١٨٣ م) . وأحدث هذه النصوص في عمارة أجراها بها الخديو اسماعيل سنة ١٢٨٥ هـ (١٨٦٨ م) .

وفي عصر المغفور له محمد علي أصبح اسمه علماً على قلعة الجبل بما أجراه فيها من إصلاحات وما استحدثه فيها من منشآت ، وبما أضافه إليها من أبواب وأبراج وأسوار وقصور ، وبخاصة مسجده الكبير .

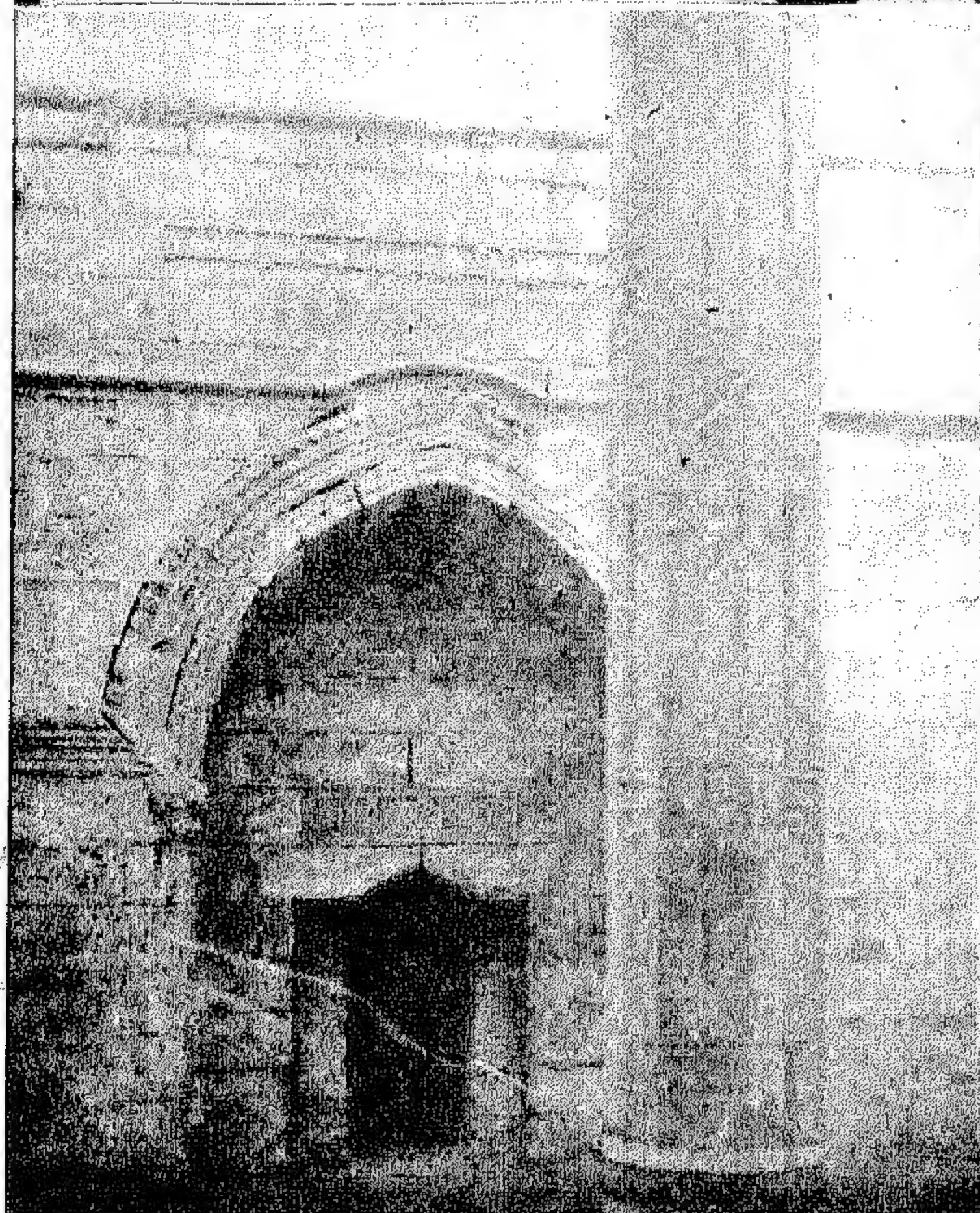
ولسوف يظل اسم القلعة بعد ذلك مقترناً باسم الفاروق مدى الأجيال ، ففي عهده السعيد الزاهر تم تسليمها إلى الحكومة المصرية ، وبذلك أعيد إلى مصر أول مظهر قومي بإعادة قلعة الجبل إلى حظيرتها يتحقق فوقها العلم المصري .

تابوت المشهد الحسيني

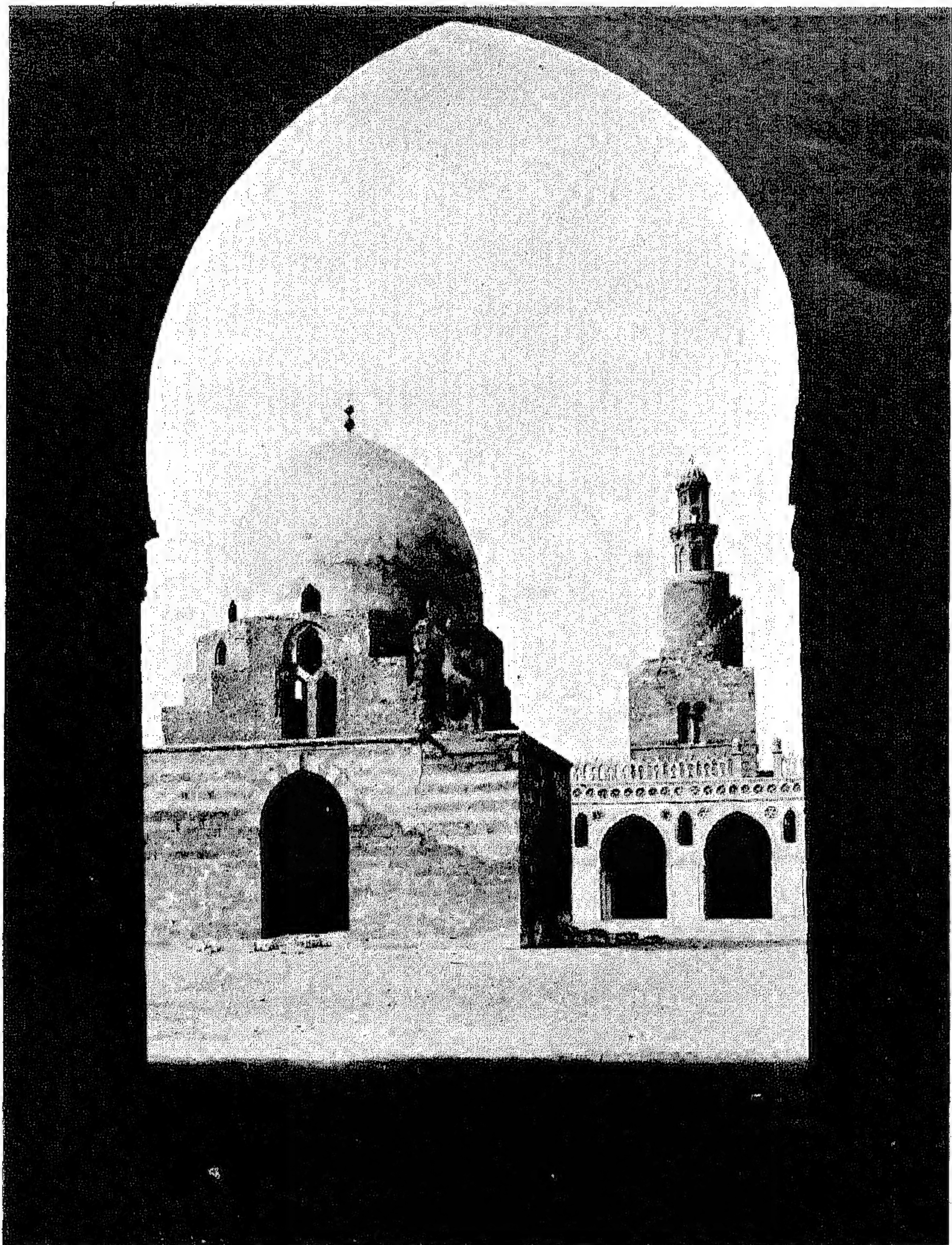
في سنة ١٩٣٩ استخرجت من حجرة أسفل مقصورة المشهد الحسيني تابوتا خشبياً من روائع صناعة النجارة ، أرجح أن الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي عند بنائه المدرسة التي كانت ملاصقة للمشهد والتي حل محلها المسجد الحالي ، أمر بصنعه لمطابقة صناعته للتابوت الذي أمر بصنعه على قبر



جامع عمرو بن العاص

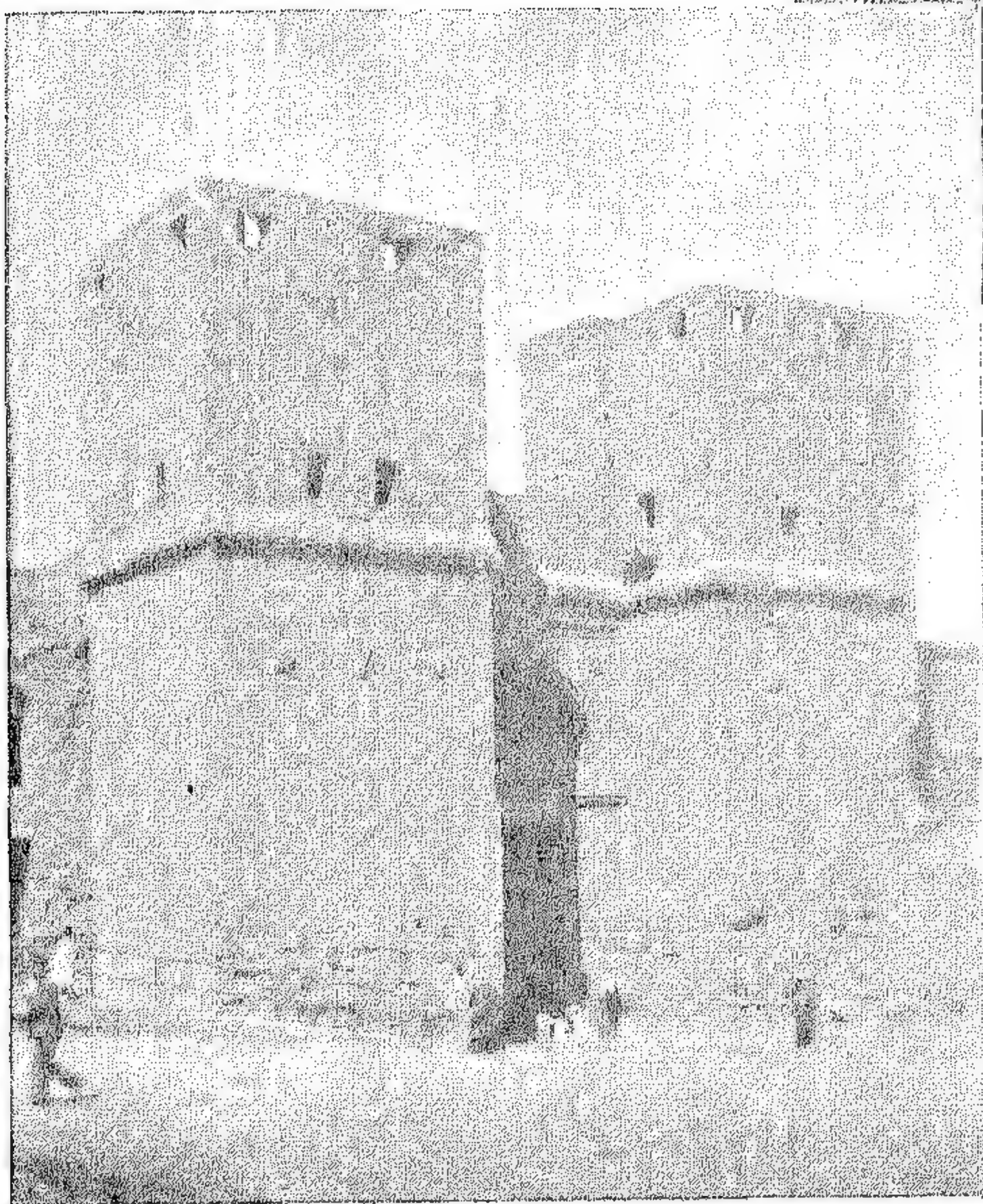
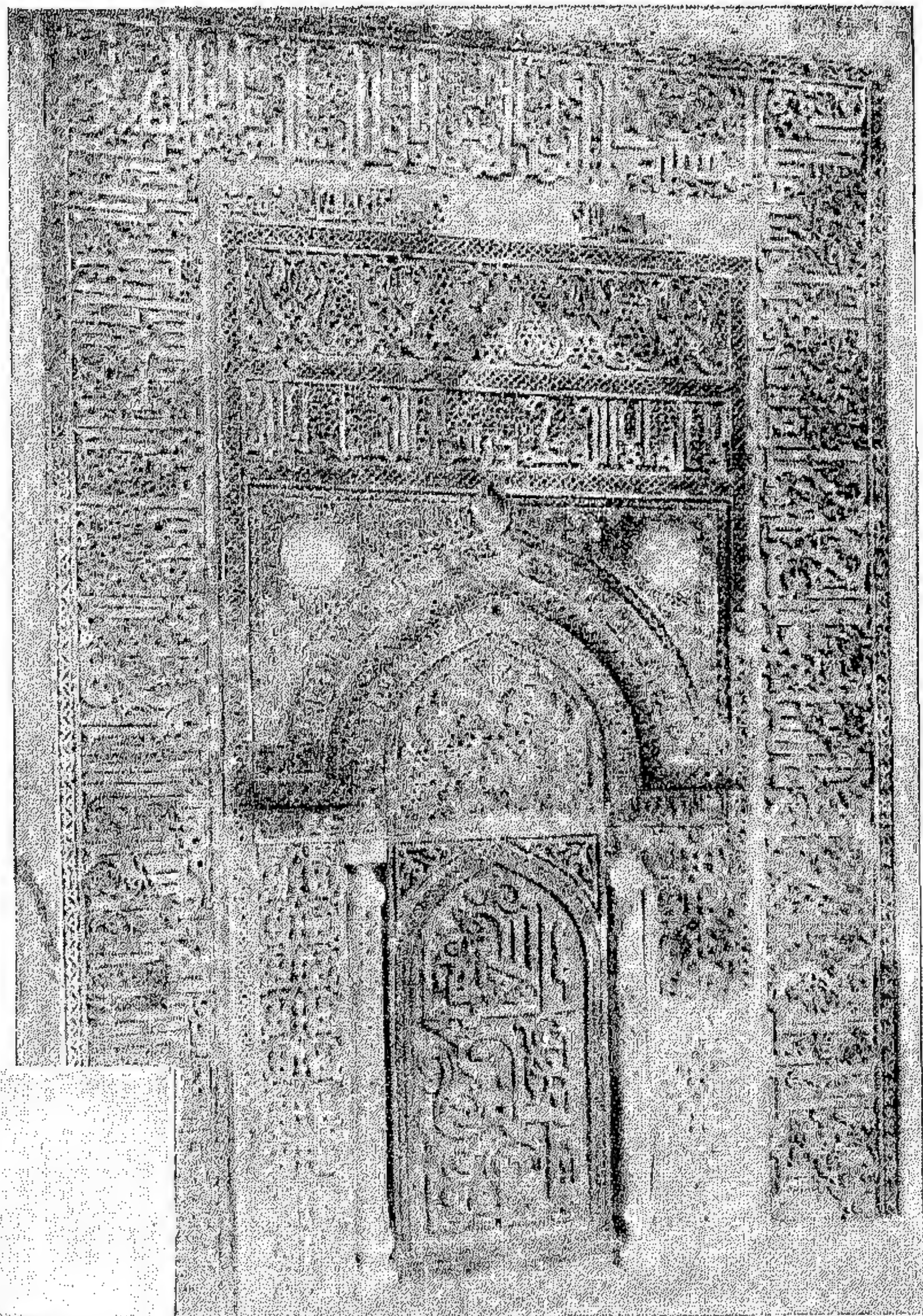


مقياس النيل بحزيرة الروضة



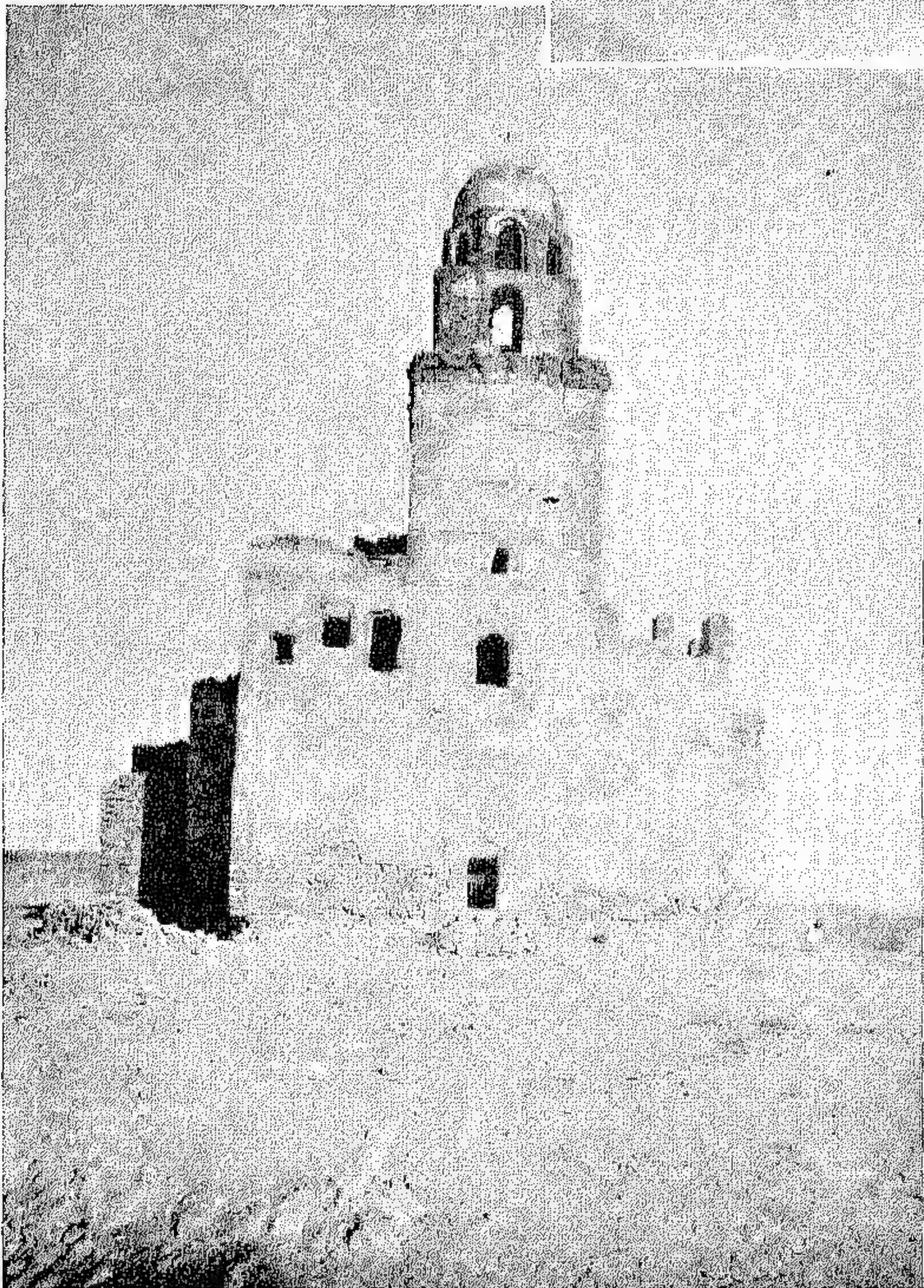
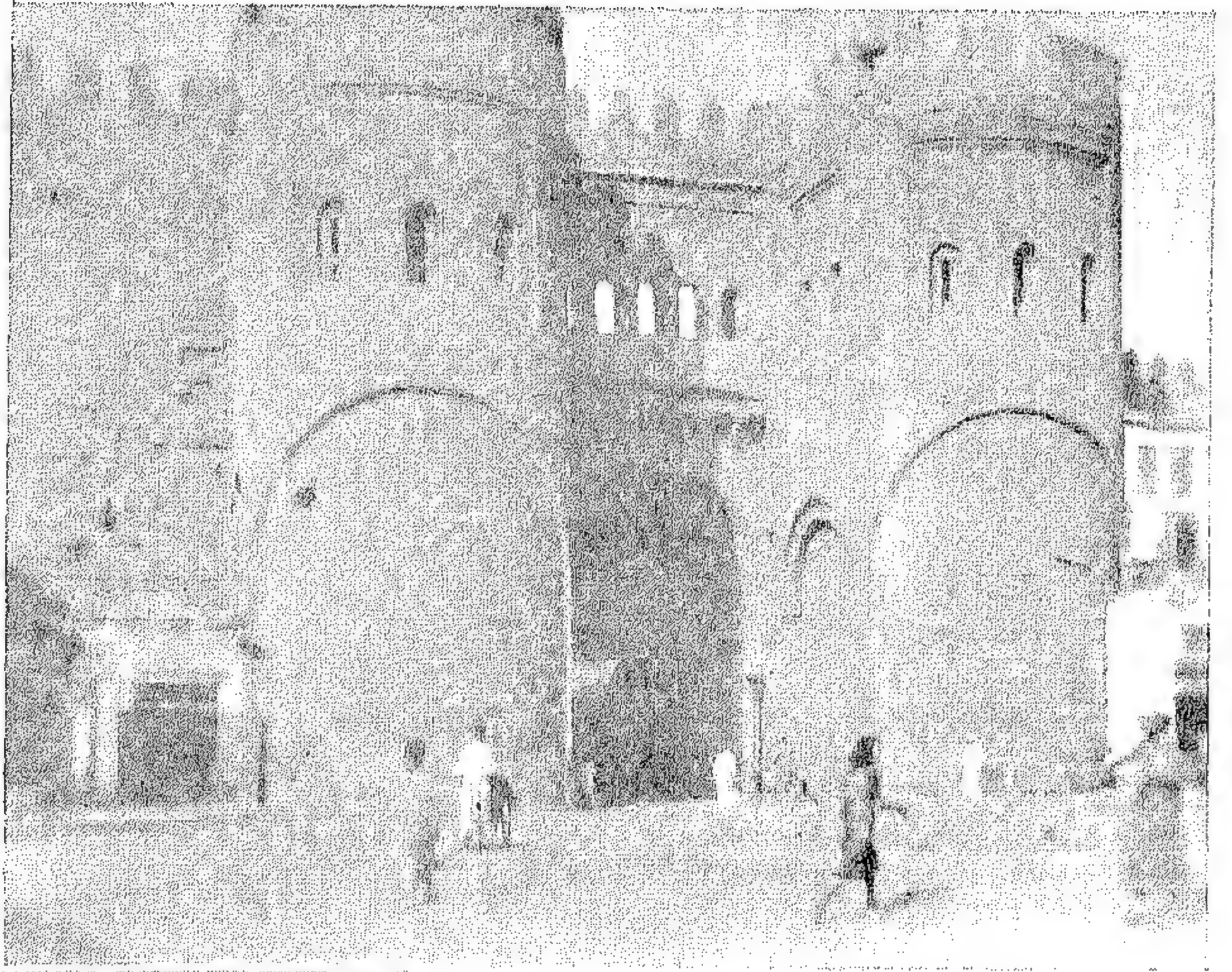
الجامع الطولوني

المحراب المستنصرى
بالجامع الطولونى



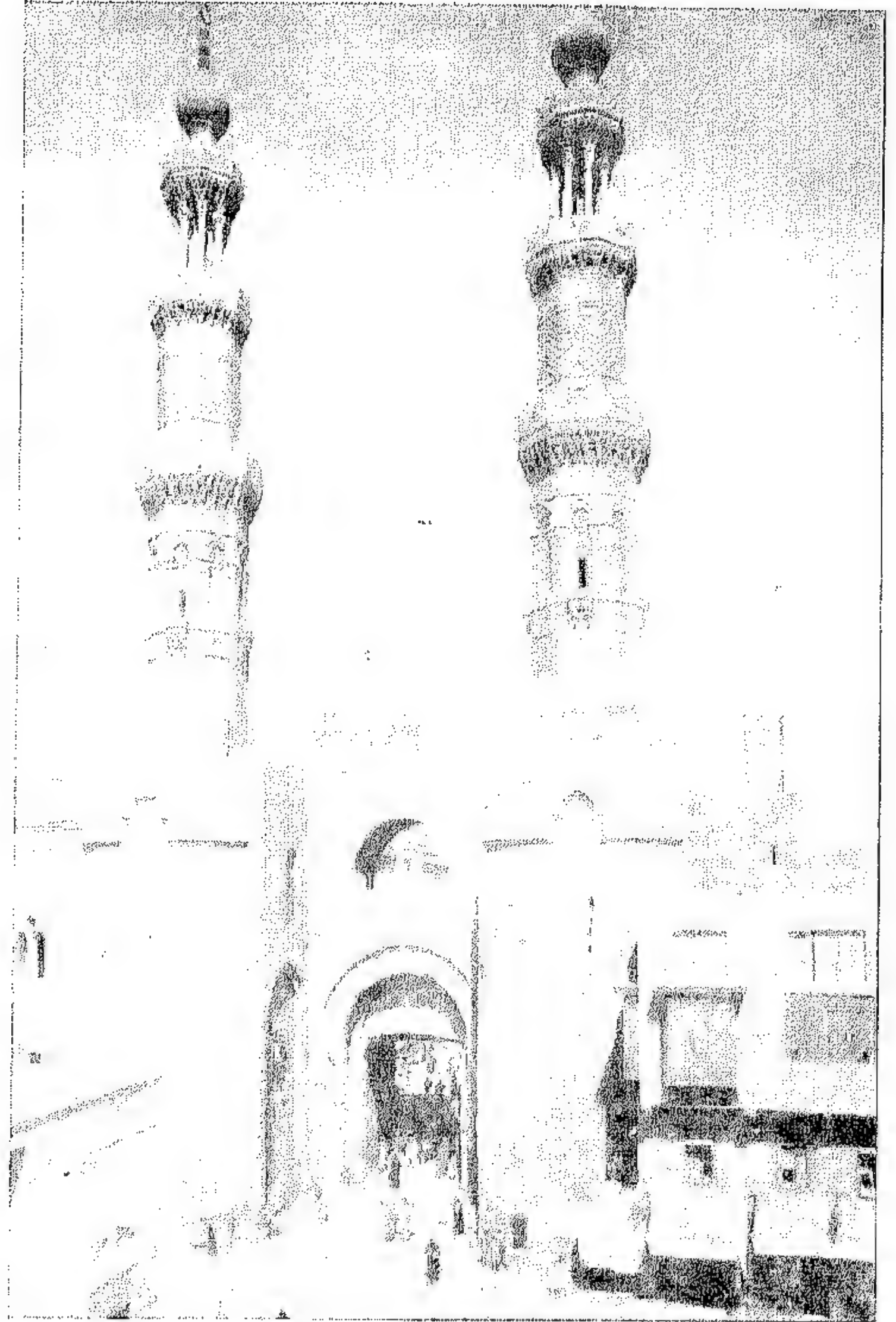
باب النصر

باب الفتوح

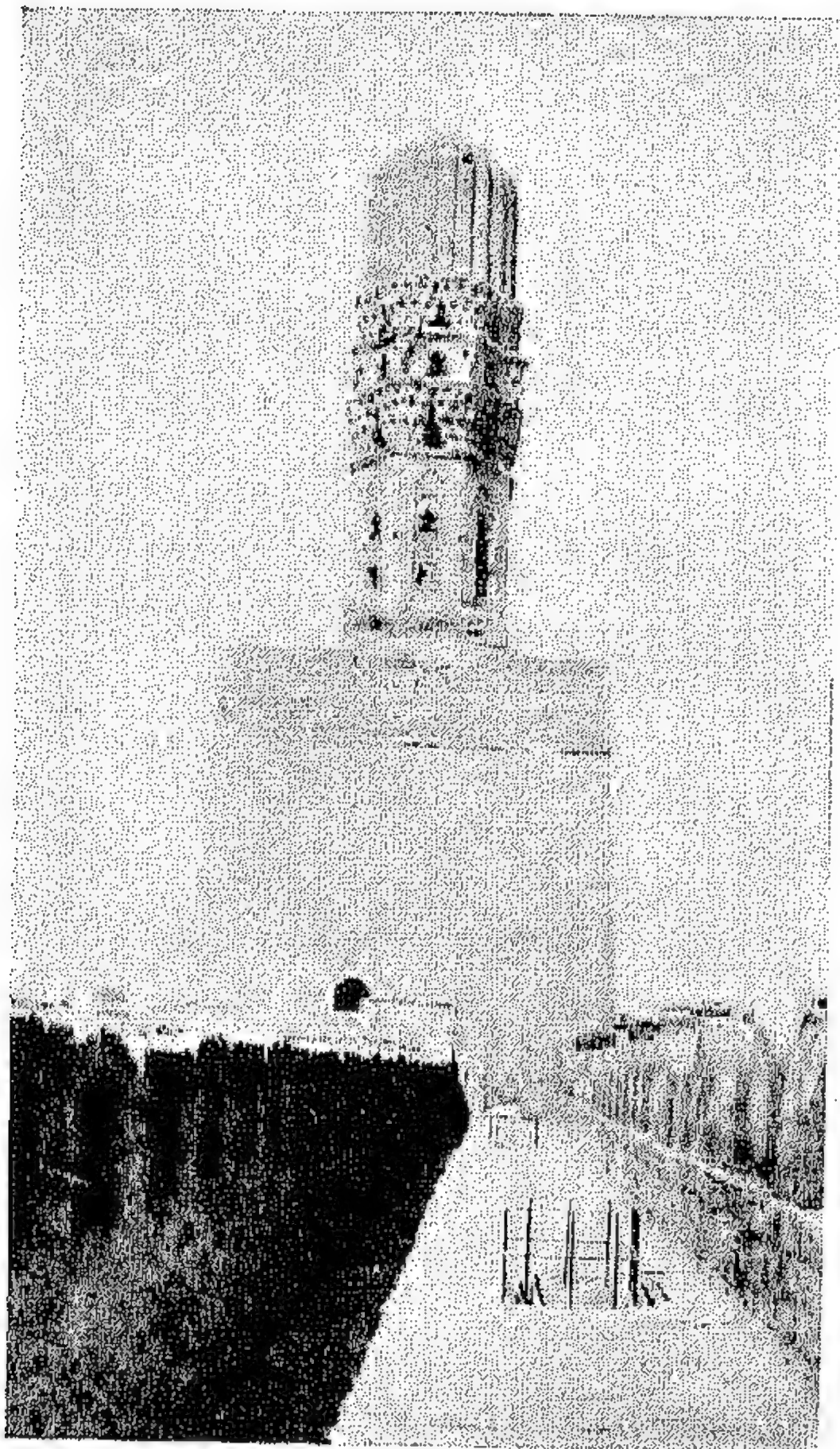


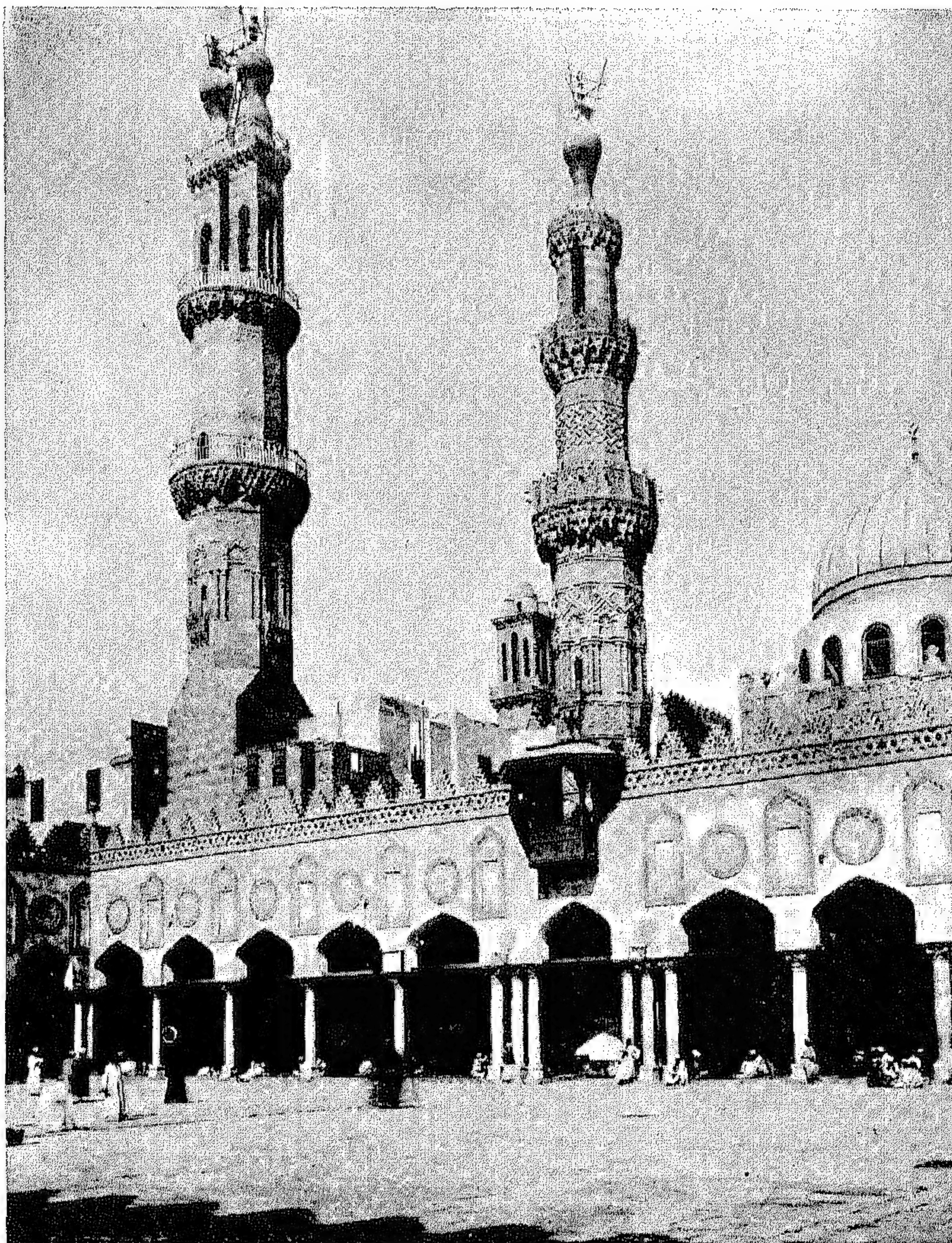
جامع الجيوشي

باب زويلة ومنارتنا الجامع المؤيدي

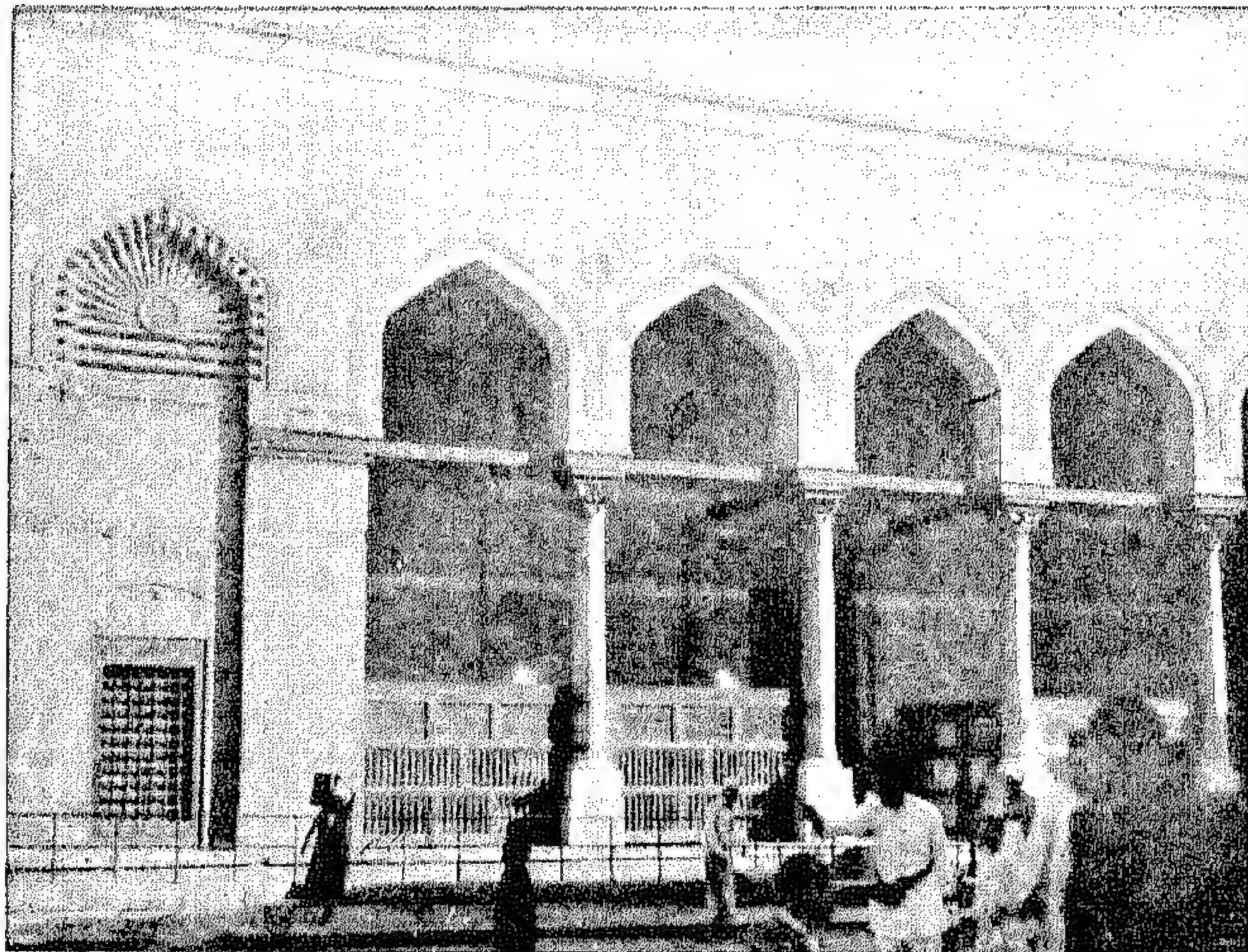


منارة جامع الحاكم
وتبدو فيها قمتها من عمل بئرس الجاشنكير

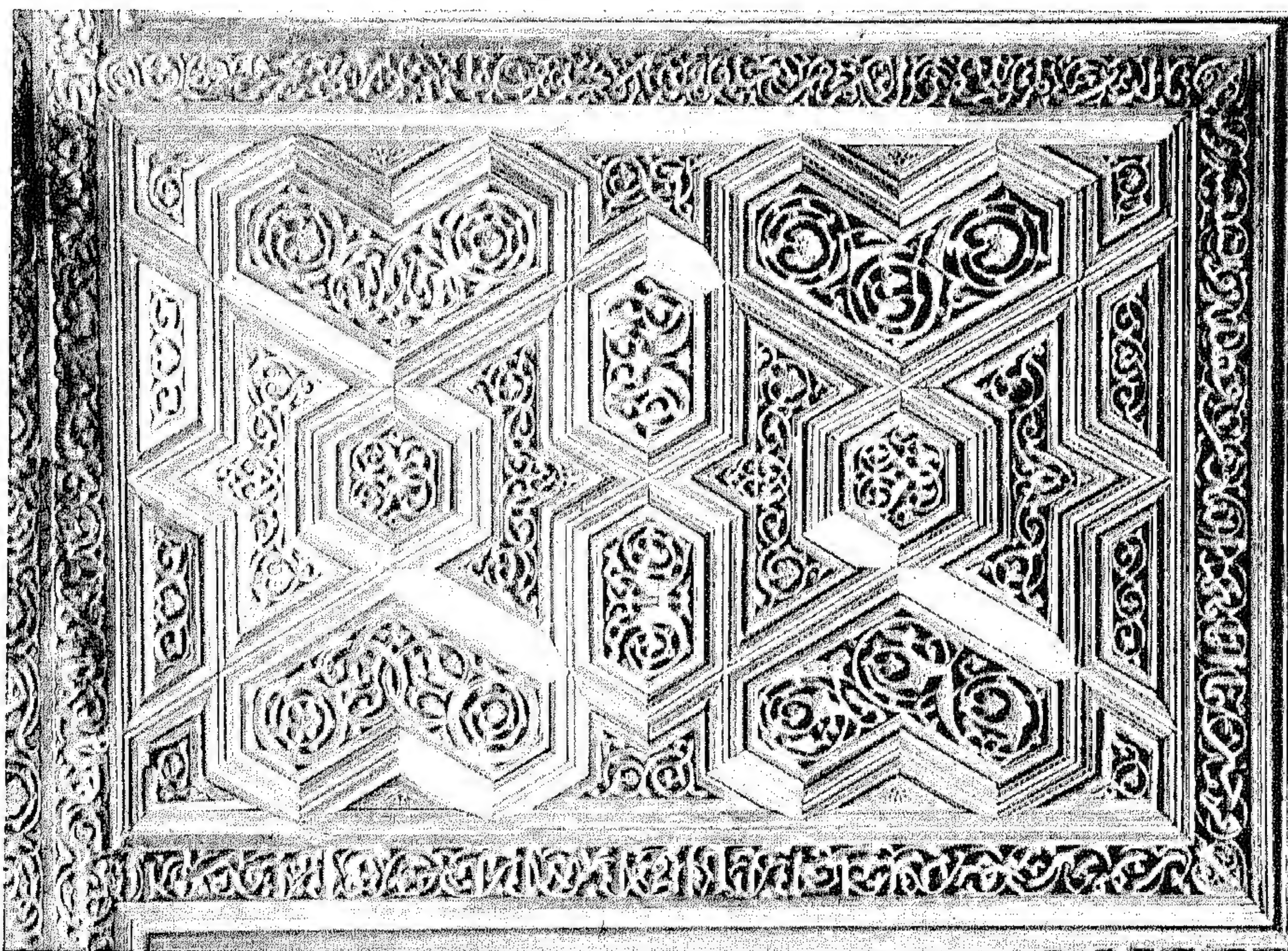




الوجهة الغربية لصحن الجامع الأزهر

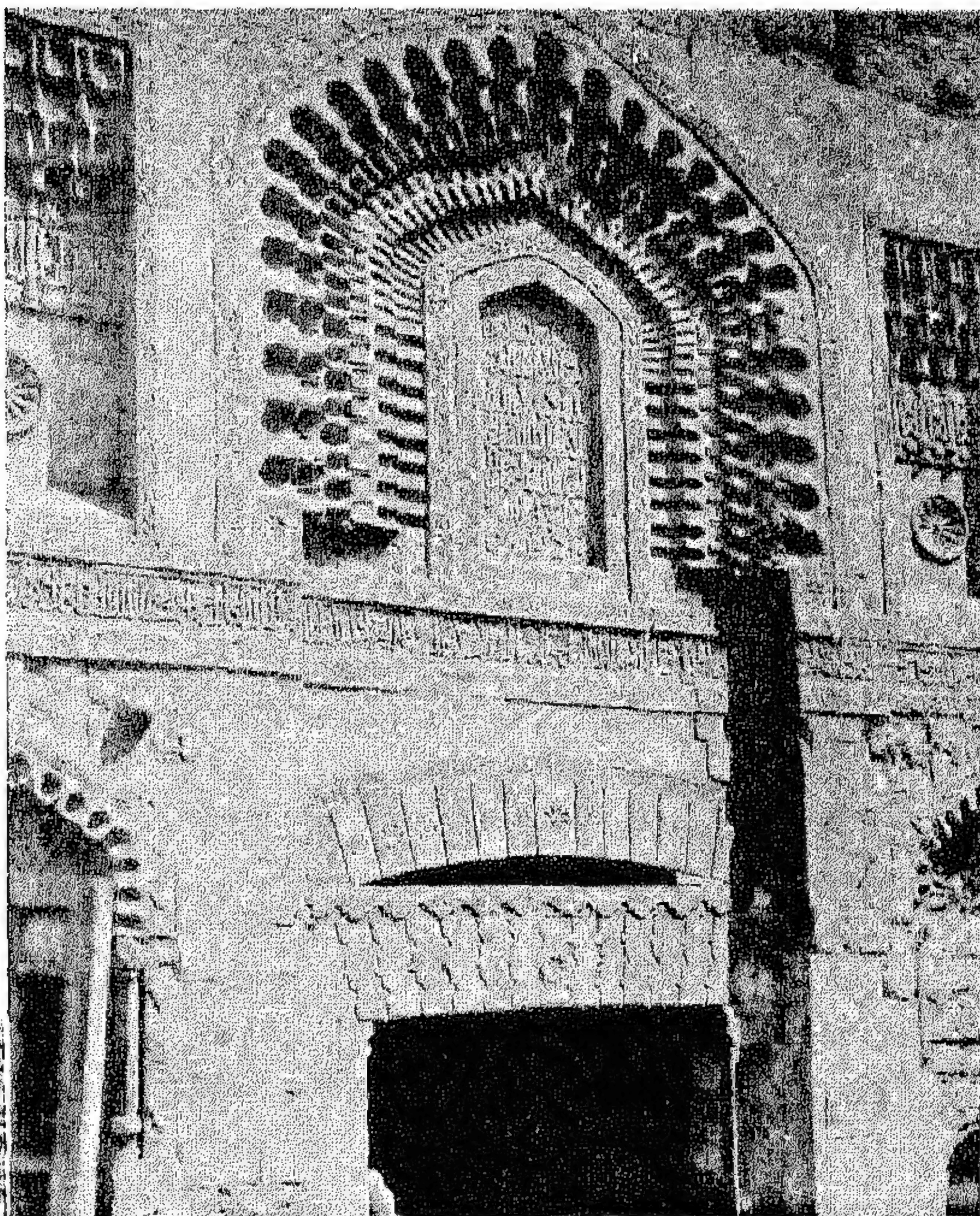


الوجهة الغربية لجامع
الصالح طلائع بن رزيك

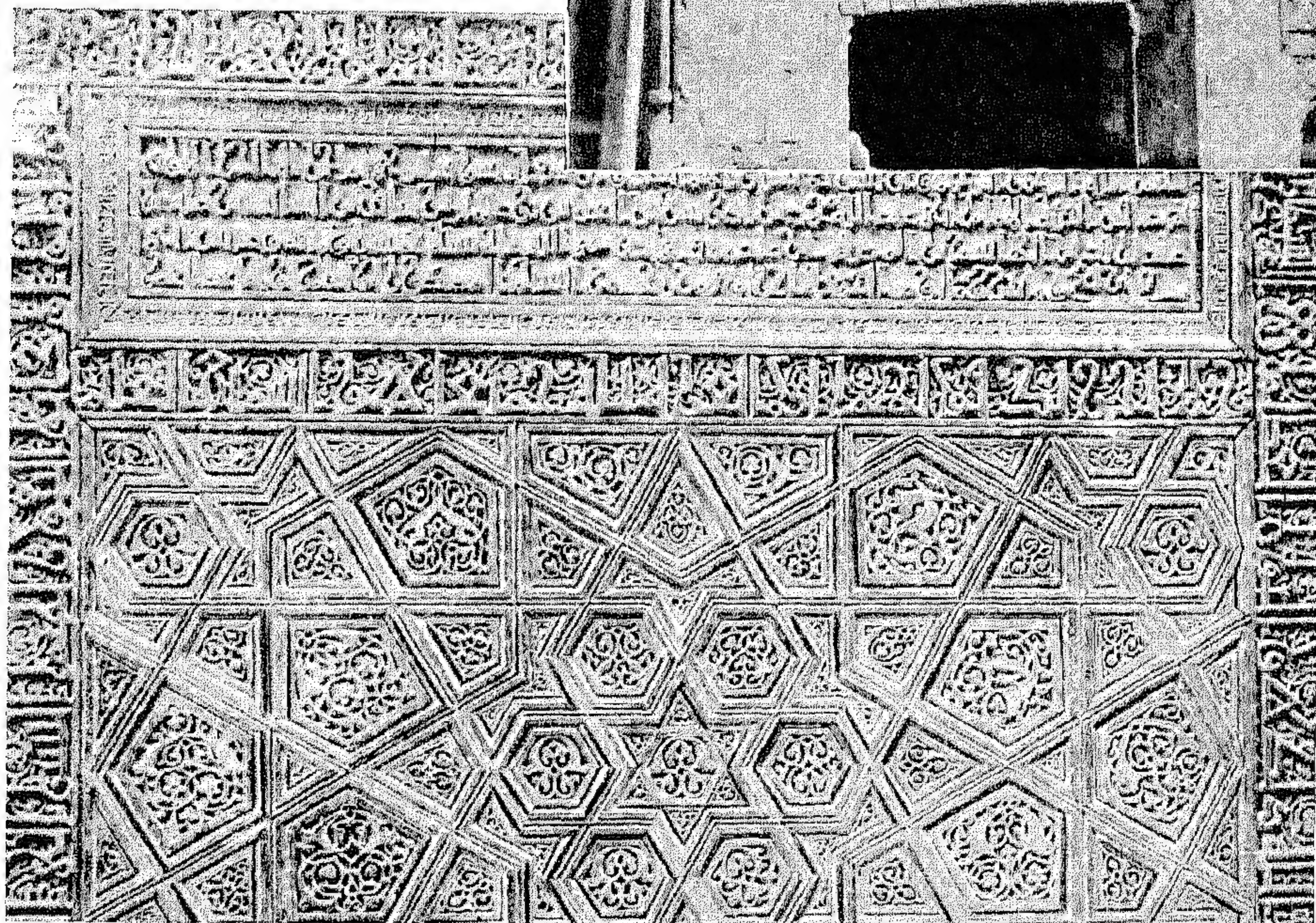


تفاصيل من تابوت الشهيد الحسيني

باب المدرسة الصالحية
(الصالح نجم الدين)



تابوت الامام الشافعي



الشافعي سنة ٥٧٤ هـ (١١٧٨ م) . وهذا التابوت أودع دار الآثار العربية بعد إصلاحه .

قبة الامام الشافعي — بشارع الامام الشافعي

لما توفي الإمام محمد بن إدريس الشافعي سنة ٢٠٤ هـ (٨١٩ م) دفن بقرية أولاد ابن عبد الحكم، وظلت مقبرته في ساحة حتى غنى بها الملك الناصر صلاح الدين كما غنى بنشر مذهبه ، ففي سنة ٥٧٢ هـ (١١٧٦ م) بنى بجوارها مدرسة عرفت بالصلاحية حل محلها المسجد الحالي الذي أعاد إنشائه الخديو توفيق سنة ١٣٠٩ هـ (١٨٩١ م) . وبقي من عمارة صلاح الدين لقرية الشافعي التابوت الخشبي فوق قبره ، وهو تابوت كبير دقت حشواته بالأئمة الدقيقة وعليه اسم صانعه (عبيد النجار المعروف بابن معالي) وهو من طرائف فن التجارة .

وفي سنة ٦٠٨ هـ (١٢١١ م) أنشأ هذه القبة السلطان الملك الكامل محمد بن الملك العادل لما دفنت والدته هناك ، وقيل إنها هي المنشئة لها ، وهي من أجمل القباب بمصر ، اقن المهندس في زخرفتها ونقوشها من الداخل والخارج ، وأقيم على قبر أم الملك الكامل تابوت لا يقل أهمية عن تابوت الشافعي . أما النقوش الملونة والمذهبة بالقبة من أعلاها فهي من أثر عمارة أجراها بها على بك الكبير سنة ١١٨٦ هـ (١٧٧٢ م) .

المرزسة الصالحية^(١) — بشارع النحاسين

أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب على رقعة من أرض القصر الفاطمي الكبير محل الباب المعروف ، بباب الزهومة . وفرغ من بنائها سنة ٦٤١ هـ (١٢٤٣ م) وأعدّها لتدريس المذاهب الأربعة . ثم تخربت هذه المدرسة ، ولم يبق منها سوى مدخلها المشتمل على نقوش دقيقة وكتابات تاريخية ، وتعلوه المنارة ، كما بقيت الواجهة الغربية بشبايكها المختلفة النقوش .

(١) ظهرت المدرسة في نهاية العصر الفاطمي لدراسة مذهب من المذاهب الأربعة أو كلها ، وأعدت أيضاً لإقامة العاثر الدينية ، وتختلف عن المسجد بأن تصيبها متعامد (Cruciforme) .

وفي الطرف البحرى قبة الصالح نجم الدين التى أنشأتها له زوجته شجر الدر سنة ٦٤٧ هـ (١٢٤٩ م) ، وامتازت هذه القبة بجمال تجارتها مع بساطتها ، وبكسوة محرابها برخام دقيق وفينسفاء مذهبة .

قبة الخلفاء العباسيين — خلف المطهر النفيسى

أنشئت هذه القبة حوالى سنة ٦٤١ هـ (١٢٤٣ م) . ودفن بها الخلفاء العباسيون الذين وافتهم منيتهم بديار مصر فى القرنين السابع والثامن الهجرى وغيرهم ، وهى على أعظم جانب من الأهمية لما حوته من زخارف جصية بلغت منتهى الدقة ، ومكتوب بحزام رقبتها آية الكرسى بالخط الكوفى الأندلسى .

قبة شجر الدر — بسارع الخليفة

أمرت بإنشائها ملكة مصر شجر الدر سنة ٦٤٨ هـ (١٢٥٠ م) وطوّزها كطَرَز قبة الخلفاء العباسيين ، وبها من الداخل أيضاً زخارف جصية دقيقة ، وامتازت بفينسفاء مذهبة فى محرابها ، وبإزار مكتوب بالخط الكوفى . ولما توفيت سنة ٦٥٥ هـ (١٢٥٧ م) دفنت بها . ومكتوب بطراز مربعا ألقابها الملكية مما يؤيد أنها أنشأتها وهى متولية ملك مصر .

دولة المماليك البحرية سنة ٦٤٨ — ٧٨٤ هـ (١٢٥٠ — ١٣٨٢ م)

عصر هذه الدولة من العصور الذهبية ، فقد تنافس فيه ملوك مصر وأمراؤها فى تشييد المنشآت العمارية الخيرية والمدنية ، وفيه أنشأ الملك الناصر محمد بن قلاوون ديواناً للأشغال . وقد عمرت هذه الدولة زهاء ١٣٦ سنة ، قام بالحكم فيها أكثر هذه المدة أسرة واحدة توارثت الحكم وعلى رأسها المنصور قلاوون . ولهذه الأسرة وأمرائها مجموعة قيمة من الآثار أذكر منها :

قبة ومدرسة وبيمارستان المنصور قلاوون - بشارع النحاسين

أنشأ هذه المجموعة الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفى الصالحى على رقعة من أرض القصر الفاطمى الصغير الغربى . وكان البدء بإنشائها فى شهر ربيع الآخر سنة ٦٨٣ هـ (١٢٨٤ م) والفراغ منها فى جمادى الأولى سنة ٦٨٤ هـ (١٢٨٥ م) كما ورد فى نصوصها التاريخية ، ولكنى أتشكك فى هذا التاريخ وأرجح أنها تمت بناء وزخرفاً فى نهاية سنة ٦٨٩ هـ (١٢٩٠ م) .

وقبة هذه المدرسة انفردت دون قباب مصر بطرزها وزخارفها ؛ لأنها اشتملت على وزرات رخامية مطعمة بالصدف دقيقة جداً ، وعلى محراب من أكبر وأفخم المحاريب ، وعلى سقوف مذهبة وزخارف جصية دقيقة ، ولما توفى المنصور قلاوون سنة ٦٨٩ هـ دفن بها . كما دفن بها ابنه الناصر محمد ابن قلاوون وعماد الدين اسماعيل بن محمد بن قلاوون ، وأمام باب القبة باب المدرسة وخلفها من الجهة الغربية بقايا البيمارستان^(١) الذى أعده لمعالجة جميع الأمراض ولدراسة الطب .

مدرسة الناصر محمد بن قلاوون - بشارع النحاسين

بدأ فى إنشائها الملك العادل زين الدين كتبغا المنصورى وأدخل فى عمارتها باباً رخامياً كان قد أحضره الملك الأشرف خليل من إحدى كنائس عكا عند فتحه لها سنة ٦٩٠ هـ (١٢٩٠ م) ، وارتفع بينها إلى الطراز المكتوب بوجهتها وذلك فى سنة ٦٩٥ هـ (١٢٩٥ م) ثم خُلع من الملك قبل أن يتمها ، ولما عاد الملك الناصر محمد إلى ملك مصر للمرة الثانية اشترى المدرسة وبنى بها قبة فأكملت فى سنة ٧٠٣ هـ (١٣٠٣ م) ونقل إليها رفات والدته ، كما دفن بها ابنه الأمير أنوك ، وأقام فوق مدخلها منارة مربعة مشحونة بالزخارف الجصية المتأثرة بالزخارف الأندلسية .

(١) بيمارستان كلمة فارسية مركبة من بيمار أى مريض وستان أى محل . ويقال له بالتركية « خسته خانه » .

مسجد الناصر محمد — بالقلعة

وللناصر مسجد آخر في قلعة الجبل ، أنشأه سنة ٥٧٣٥ هـ (١٣٣٥ م) امتاز بجمال منارتيه وكسوة قتهما بالقاشاني الجميل ، كما كان ممتازاً بوزرته الرخامية المطعمة بالصدف ، وسقوفه الملونة المذهبة ، وقد وُضع مشروع كبير لإصلاحه وإصلاحاً شاملاً لتنفيذاً للرغبة الملكية السامية .

الخانقاه الجاولية^(١) — بشارع صرايئة

أمر بإنشائها الأمير سلار نائب السلطنة في دولة الناصر محمد بن قلاوون ، وعهد بينائها إلى صديقه الأمير سنجر الجاولي فتمت في سنة ٧٠٣ هـ (١٣٠٣ م) ولما توفي الأمير سلار سنة ٧١٠ هـ (١٣١٠ م) والأمير سنجر الجاولي سنة ٧٤٥ هـ (١٣٤٦ م) دفنا بها ، كل منهما في قبة أفردت له . وامتازت هذه الخانقاه بجمال وجهتها المشتملة على قبتين ومنارة ، وبشبايكها الحجرية المفرغة التي لا نظير لها في أثر آخر .

مسجد الطنبغا المارداني — بشارع التبات

أنشأ هذا المسجد الأمير الطنبغا المارداني الساقى أحد مماليك الناصر محمد بن قلاوون وزوج ابنته ، وكان الشروع في إنشائه سنة ٧٣٨ هـ (١٣٣٧ م) واحتفل بافتتاحه في يوم الجمعة ٢٤ رمضان سنة ٧٤٠ هـ (١٣٤٠ م) . وهو مسجد غني بمختلف الصناعات في الرخام والأخشاب ، وله محراب دقيق من الرخام الملون والمطعم بالصدف يجاوره منبر خشبي دقيق الصنعة ، هذا عدا الزخارف الجصية الملونة . وقد وضع تصميم هذا المسجد ونفذه المهندس القدير ابن السيوفى كبير المهندسين في دولة الناصر محمد بن قلاوون .

(١) خانقاه : كلمة فارسية معناها دار الصوفية .

القصور

مما يؤسف له أنه لم يبق من قصور هذا العصر قصر كامل ، ولكن توجد تفاصيل من هذه القصور مثل بقايا قصر الأمير قوصون خلف مدرسة السلطان حسن . وقد أنشأه سنة ٧٣٨ هـ (١٣٣٨ م) الأمير قوصون الساقى صهر الناصر محمد بن قلاوون وسكن فيه مدة حياته ، ثم اتخذ بعده مقراً لسكنى كبار الأمراء إلى أن آل إلى الأمير يشبك من مهدى سنة ٨٨٠ هـ (١٤٧٦ م) فنقش اسمه وألقابه على جانبي مدخله ، وهو أهم ما بقي من هذا القصر ، ويعتبر من أفخم المداخل وأعظمها ، ويزيد في قيمته نقش اسم صانعه عليه (محمد بن أحمد زغلش الشامى) .

ومن منشآت الأمير قوصون وكالة في شارع باب النصر ، كانت معدة لنزول تجار الشام بيضائهم من زيت وصابون وفستق وجوز ولوز ، وكانت بمثابة فندق يشتمل على ٣٦٠ بيتاً يسكنها نحو أربعة آلاف نفس ، وقد تخربت الوكالة وبقى مدخلها المكسو بالرخام وعليه رنك منشؤها .

ومن هذه القصور قصر الأمير بشتاك بشارع النحاسين . أنشأه سنة ٧٣٥ هـ (١٣٣٥ م) ولم يبق منه سوى جزء من وجهته مع مدخله وقاعته الكبيرة . وتصميم هذه القاعة وسقفها المذهبة ، وبقايا وزرتها الرخامية الدقيقة ، ونجارتها تشعربما كان عليه هذا القصر من روعة وبهاء .

وللأمير بشتاك حمام بشارع سوق السلاح أنشأها حوالي سنة ٧٤٠ هـ (١٣٤٠ م) . وقد تجدد داخلها واحتفظت بمدخلها المكسو بالرخام الملون وهو وحيد في نوعه .

ومن هذه القصور قصر الأمير طاز الذى أنشأه سنة ٧٥٣ هـ (١٣٥٢ م) بشارع السيوفية ، وبه الآن مدرسة الحلمية الثانوية ، وقد احتفظ بمدخله وبقاعته الكبيرة بسقفها المتنوعة .

جامع آق سنقر (إبراهيم أغا) - بشارع باب الوزير

أمر بإنشائه الأمير آق سنقر الناصرى من كبار أمراء الناصر محمد بن قلاوون وزوج ابنته ، وكان البدء في إنشائه سنة ٧٤٧ هـ ، وافتتحه للصلاة في سنة ٧٤٨ هـ (١٣٤٧ م) . وعرف بالجامع

الأزرق نسبة إلى مجموعة القاشاني التي كسى بها الإيوان الشرقى الأمير إبراهيم أغا مستحفظان حينما أصلح الجامع سنة ١٠٦٢ هـ (١٦٥٢ م) ، وأقام لنفسه مدفناً كسى جدرانه بالقاشاني أيضاً ، وهى أكبر مجموعة من القاشاني عملت خصيصاً لهذا الجامع . وللجامع محراب من الرخام الدقيق يجاوره منبر رخامى من أنفس المنابر الرخامية بمصر ، كما أن منارته من المنارات الرشيقة . وملحق به قبة دفن بها السلطان علاء الدين كجك المتوفى سنة ٧٤٦ هـ (١٣٤٥ م) .

مدرسة السلطان حسن - بميدان صلاح الدين

أنشأها السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون . وكان البدء فى إنشائها سنة ٧٥٧ هـ (١٣٥٦ م) وهى إحدى عجائب العمارة الإسلامية ، بل ومن مفاخرها ، والزائر لها تبهره بضخامة بنائها وجمال تناسقها ودقة نقوشها ، سواء أكانت فى الحجر أم الخشب أم الرخام أم الجص ، كما أن مدخلها من أفخم المداخل وأعلاها ، وقد حلى بالمقرنصات المتعددة الحطات ، كما حلى جانباه بالزخارف المتنوعة والممتدة إلى أعلى ، وكثير منها لم يتم للآن . وكان مركباً عليه مصراعان من الخشب المغشى بالنحاس المفرغ بأشكال زخرفية نقلهما الملك المؤيد شيخ إلى مسجده سنة ٨١٩ هـ (١٤١٦ م) . وامتازت هذه المدرسة بضخامة عقد إيوانها الشرقى الذى لا نظير له فى العمارة الإسلامية لا فى مصر ولا فى قطر آخر ، ويسترعى النظر فيه الإزار الجصى المزخرف والمكتوب فيه بالخط الكوفى آيات من سورة الفتح ، وكذلك المنبر الرخامى والدكة الرخامية ، وباب القبة المكفت بالذهب ، ويحلق بالصحن أربع مدارس للمذاهب الأربعة ؛ أكبرها المدرسة الحنفية المكتوب بطراز صحنها اسم المهندس (محمد بن بيليك المحسنى) .

وتقوم القبة خلف المحراب ، ويعتبر وضعها شاذاً ، ولم يدفن بها السلطان حسن بل دفن فيها ابنه الشهاب أحمد المتوفى سنة ٧٨٨ هـ (١٣٨٦ م) ، وقد جُدد غطاء هذه القبة ومنارة المسجد البحرية سنة ١٠٨٢ هـ (١٦٧٢ م) . ويتدلّى من عقود الإيوانات سلامل كانت معدة لتعليق مشكاوات

زجاجية منقوشة ومكتوبة بالملينا أودع ماتبقى منها — وعده ٣٤ مشكاة — دار الآثار العربية ،
وهي من أجمل المصاييح الزجاجية .

مدرسة أم السلطان شهاب — بشارع التبات

اقترن اسم هذه المدرسة باسم شخصيتين عظيمتين : الأولى السيدة الجليلة خوند بركة أم السلطان
شعبان ، وكانت من السيدات الخيرات ، اشتهرت بميلها إلى أعمال البر ، والشخصية الثانية الملك الأشرف
أبو الفاخر شعبان بن الناصر محمد بن قلاوون الذي ولي ملك مصر سنة ٧٦٤هـ (١٣٦٣م) . وكان الفراغ
من بناء المدرسة سنة ٧٧٠هـ (١٣٦٨م) وقد حفلت بشتى الصناعات فقد كانت سقوفها ملونة مذهبة ،
والأرضيات مفروشة بالرخام ، كما أن التذهيب كان يشمل الكثير من زخارفها الحجرية والرخامية ،
والباب العام من أكثر الأبواب زخرفاً وأندرها تصميماً . فقد انفرد بطرزه وعقوده ومقرنصاته المذهبة ،
وبالكتابة الكوفية المحيطة به .

الممالك الجراكسة سنة ٧٨٤ — ٩٢٣هـ (١٣٨٣ — ١٥١٧ م)

إذا أطلقنا على العمارة في دولة الممالك البحرية العصر الذهبي ، فجدير بهذا العصر أن يطلق
عليه العصر الماسي . فقد أخذت فيه العمارة زخرفها وازينت ، وظهرت فيه عمائر ملوك مصر
وأمرائها بلغت القمة في دقة الزخرف وجمال التناسب أذكر منها :

مدرسة وفاتناه الظاهر برقوق — بشارع النحاسين

أمر بإنشائها الملك الظاهر برقوق بن أنس سنة ٧٨٨هـ (١٣٨٦ م) ، ونفذ عمارتها المهندس
القدير شهاب الدين أحمد بن الطولوني ، وهي مدرسة غنية بشتى فنون العمارة ، فقد كسى الباب
بالرخام وكفتت مصاريحه النحاسية بالفضة . وامتازت وجهتها الرئيسية بوجود شباييك خشبية

مجموعة بأشكال هندسية حلت محل الشبايك الجصية . كما امتازت منارتها الضخمة بتلييس الرخام فيها ، أما سقف الإيوان الشرقى فهو من روائع الصناعة بنقوشه الملونة والمذهبة .

خانقاه فرج بن برقوق — بصحراء قايتباى

هذه الخانقاه هي أكبر بناية أثرية في قرافات مصر ، والآمر بإنشائها هو الملك الظاهر برقوق لأنه أوصى عند وفاته أن يدفن مع مجموعة من العلماء في هذا الموقع ، فنفذ ابنه الملك الناصر فرج وصيته وأنشأها لتؤدي عدة أغراض : أولها مدفن للظاهر برقوق وأسرته ، ثانياً مسجد لإقامة الشعائر الدينية ، ثالثاً خانقاه لإقامة الصوفية .

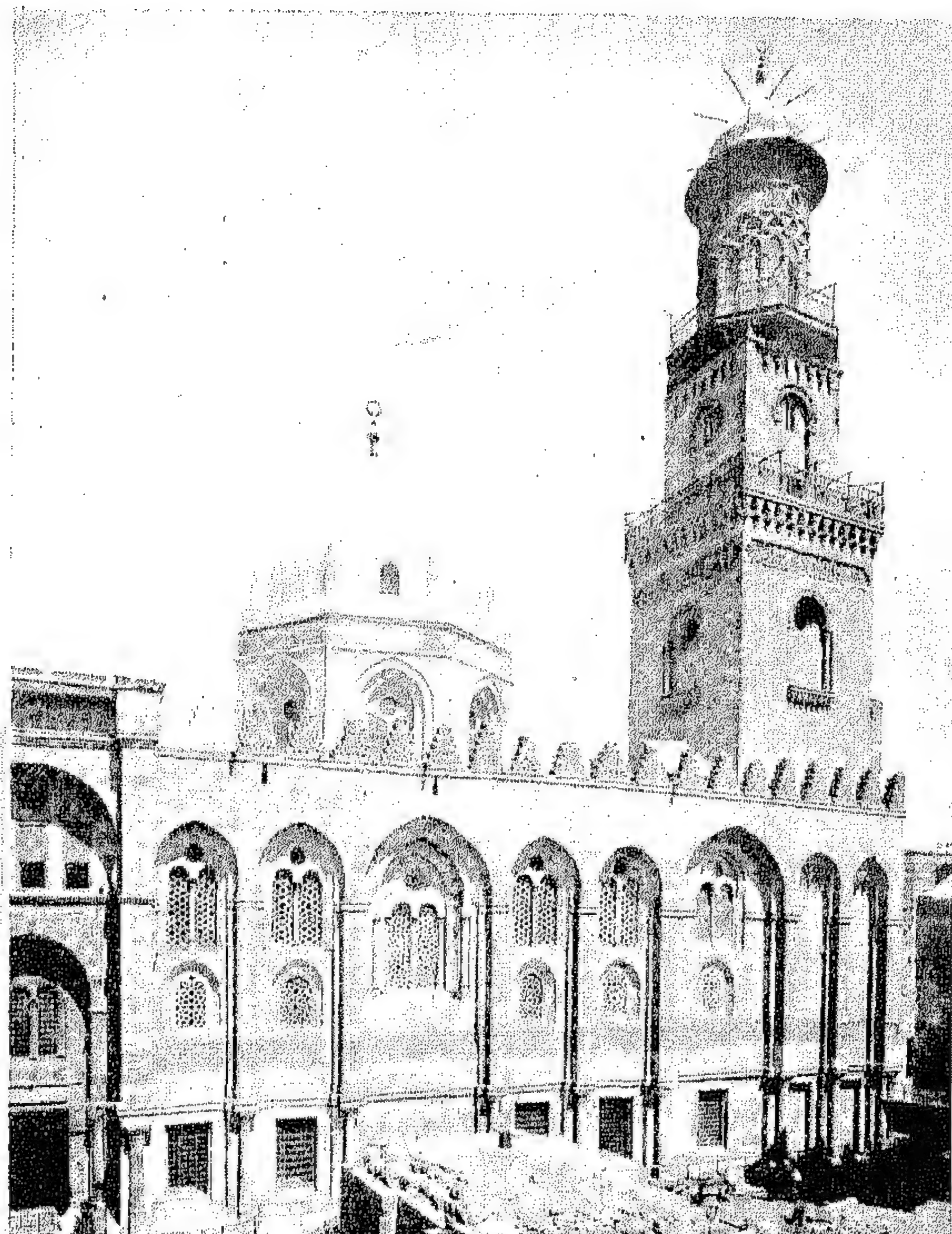
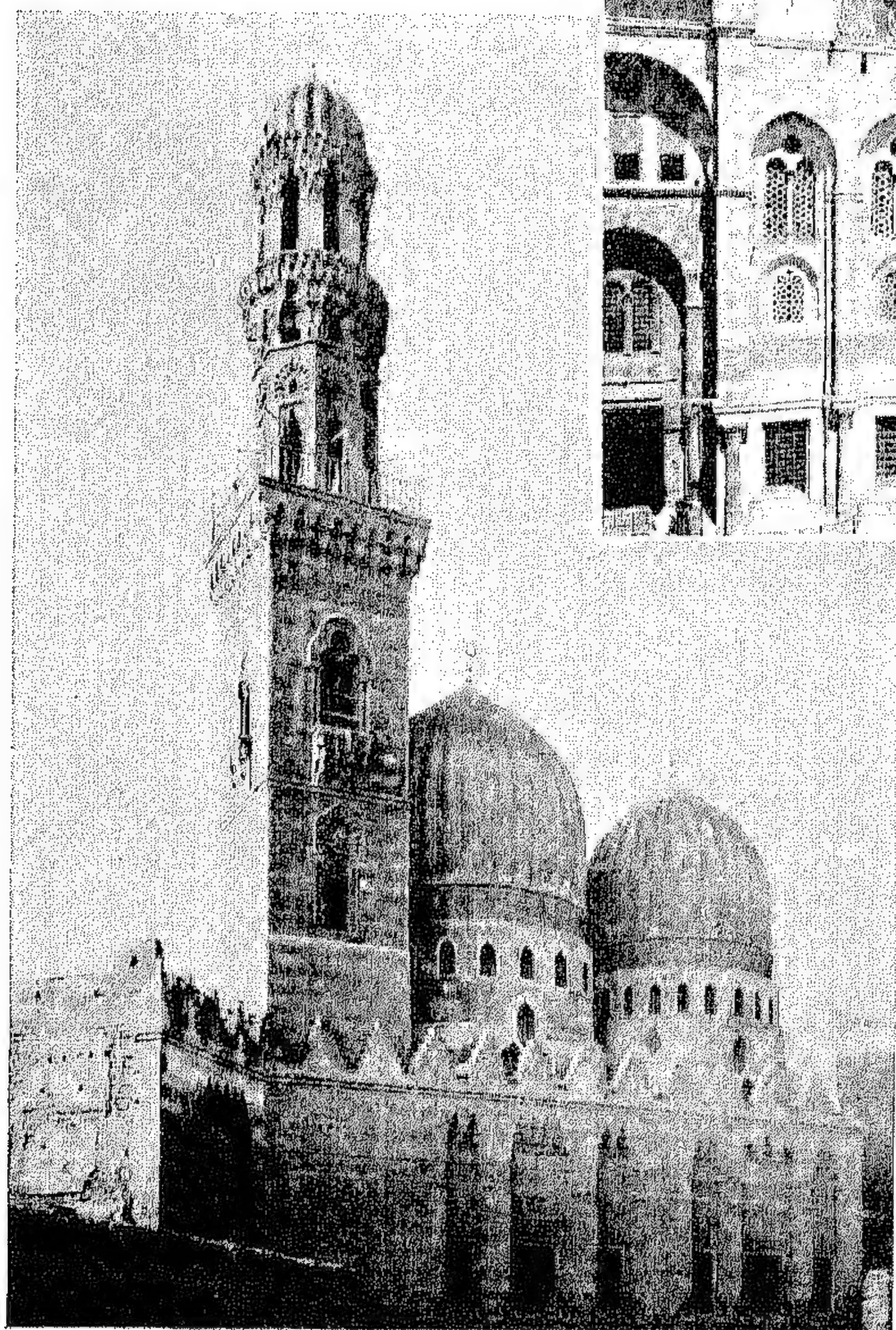
وكان البدء في إنشائها سنة ٨٠١ هـ (١٣٩٨ م) والفراغ منها في نهاية سنة ٨١٣ هـ (١٤١٠ م) ، وقد برهن مهندسها على عبقريته ومقدرته الفنية ، فإنه جال يبصره بين آثار القاهرة وأخذ من كل بستان زهرة ، فاقتبس فكرة تصميم وجهته الشرقية من الواجهة الشرقية لجامع الحاكم بأمر الله ، فكلأها ينتهى طرفاه بقبتين تتوسطهما ثلاثة فوق المحراب ، كما أقام على جداره الغربى منارتين مثيلتين لما في جامع الحاكم أيضاً ، ثم اتجه صوب مدرسة أم السلطان شعبان فاقتبس منها نجارة الأحجية الخشبية على وجه القبتين ، وبمناسبة القبتين أوجه النظر إلى نقوش سطحيهما التي تعتبر ثانياً خطوة في زخرفة القباب من الخارج ، وتوفرت فيهما مميزات أهمها رقعة سمك أحجارها والنقوش الموجودة بداخلهما ، أما المنبر فهو أجمل منبر حجري أقيم في المساجد ولا نظير له في دقة نقوشه ، وأمر بعمله السلطان قايتباى سنة ٨٨٨ هـ (١٤٨٣ م) .

ولعل الكثيرين لا يعرفون أن الصورة المرسومة على الجنيه المصرى هي للوجهة الغربية لداخل هذه الخانقاه .

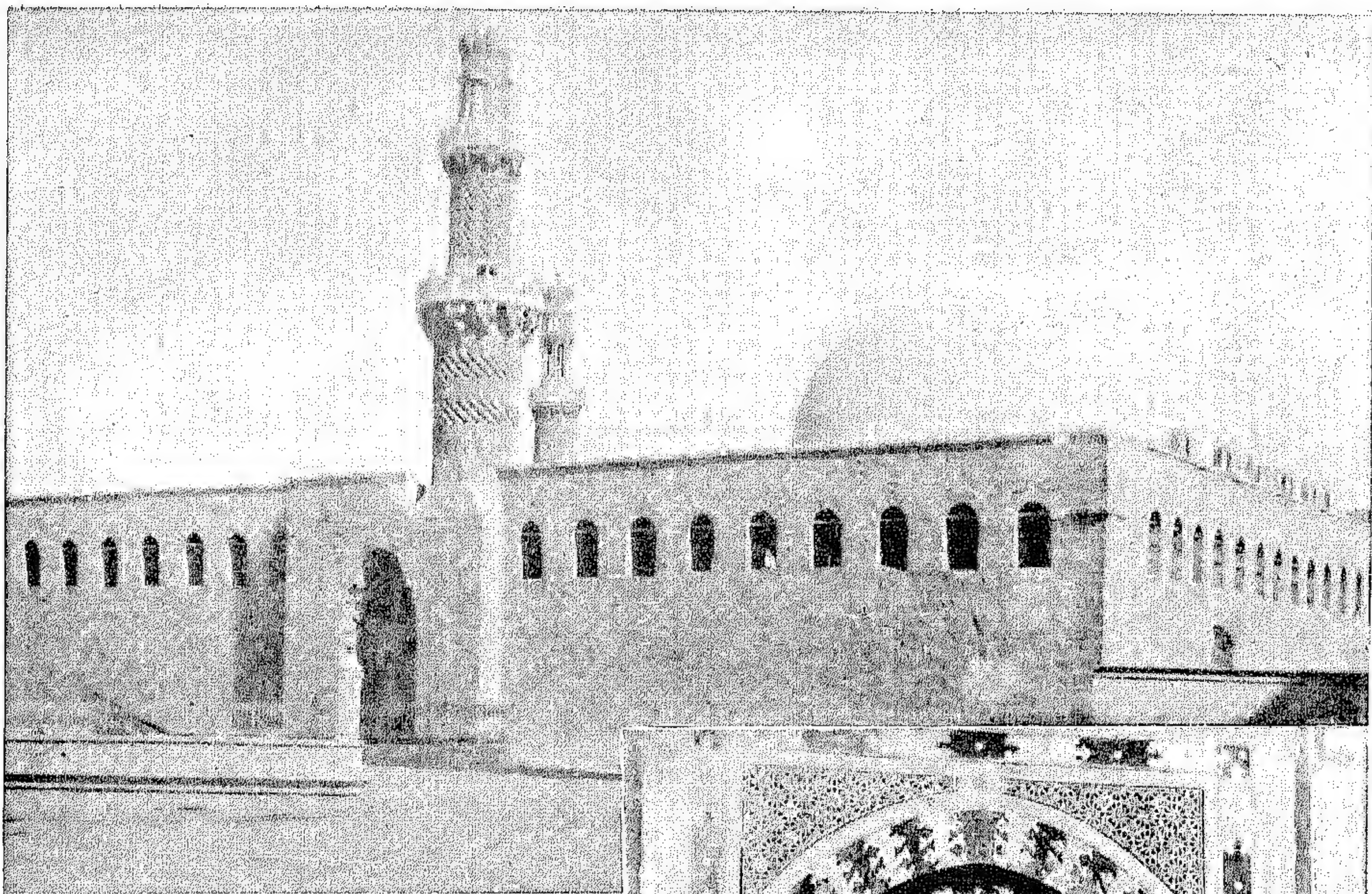
مسجد المؤيد شيخ — بشارع السكرية

بدأ في إنشائه الملك المؤيد شيخ الحمودى سنة ٨١٨ هـ (١٤١٥ م) . وهو فخر المساجد في دولة

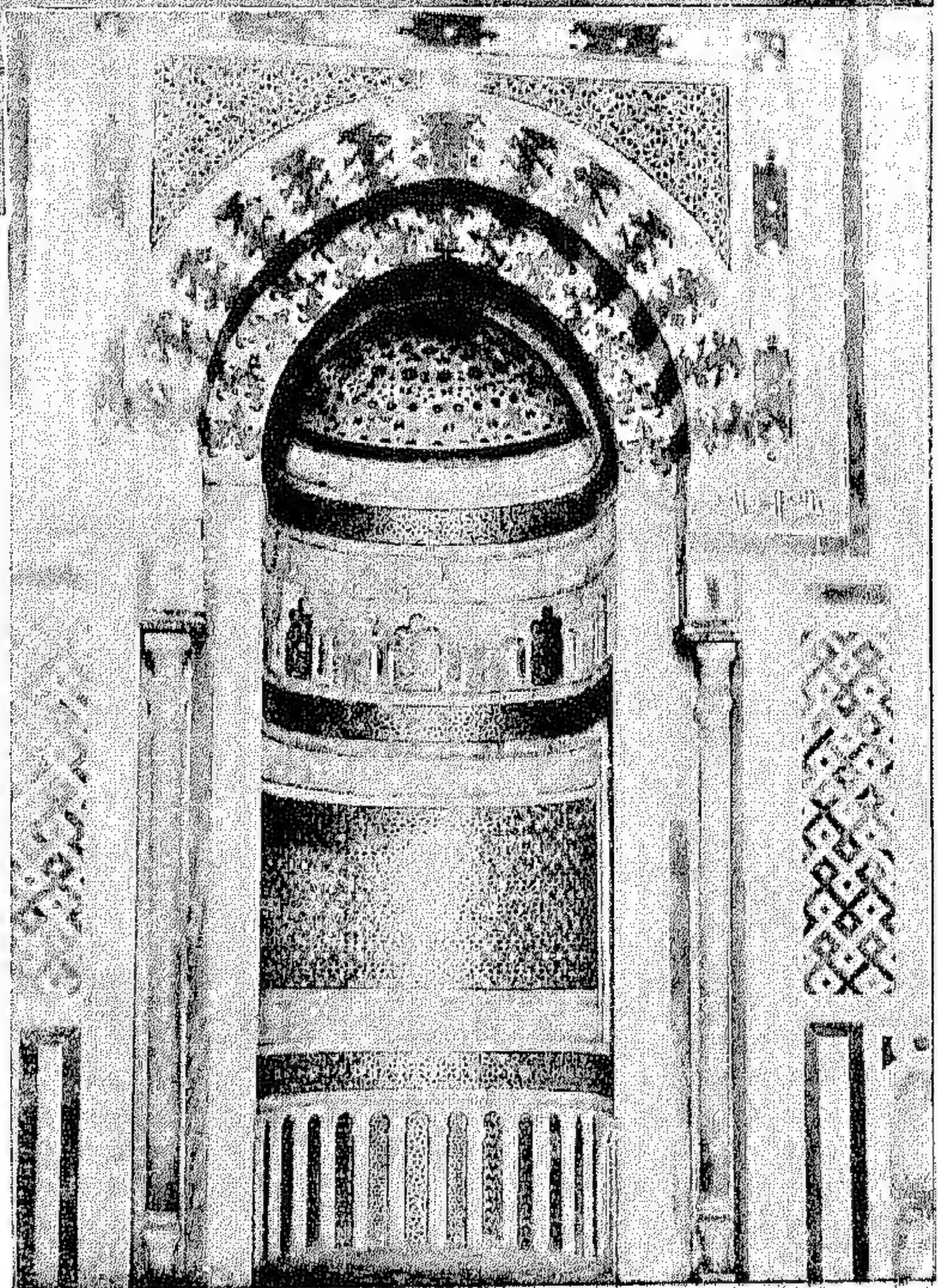
قبة ومنارة المنصور قلاوون



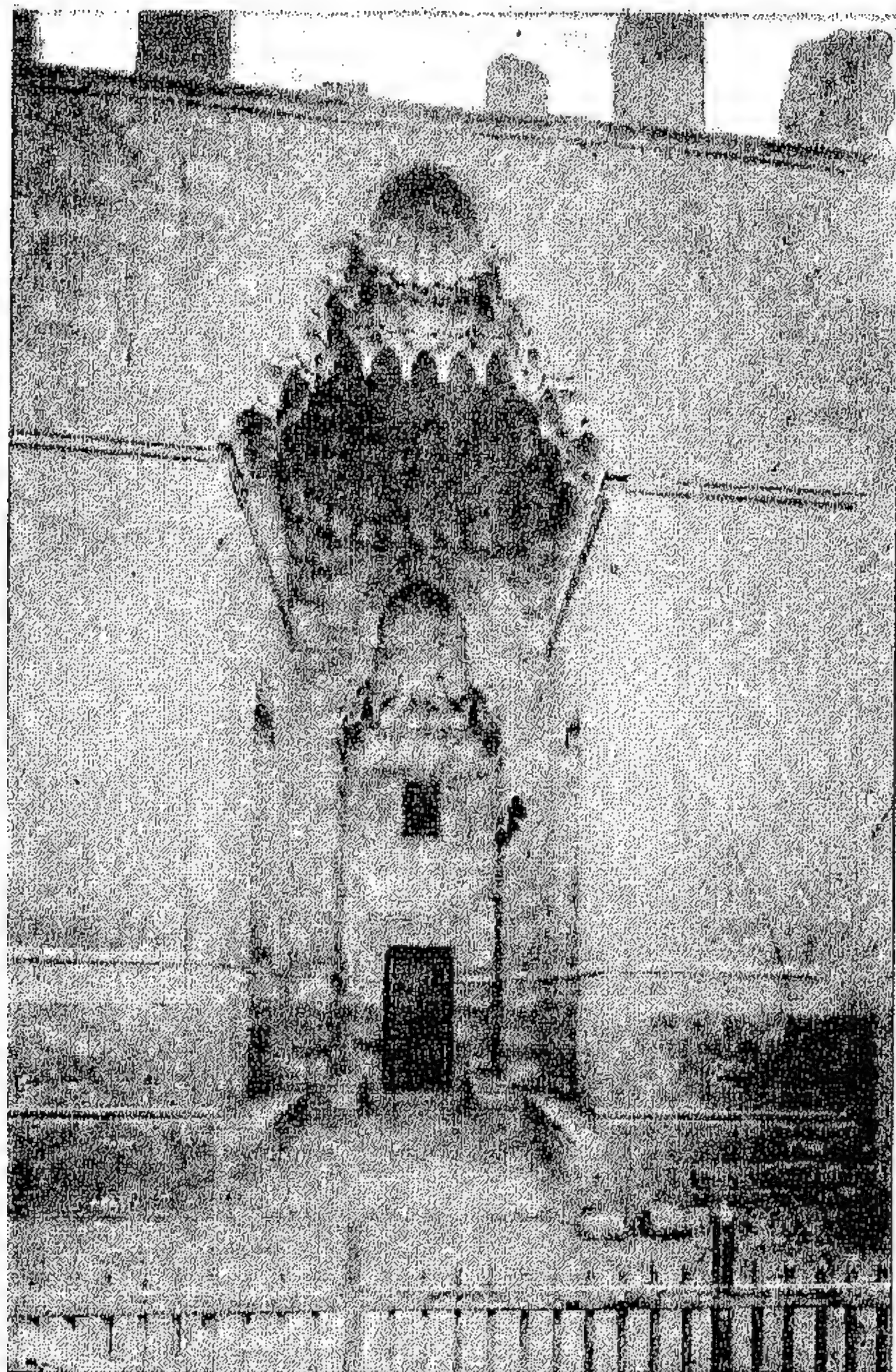
وجهه الخانقاه الجاولية



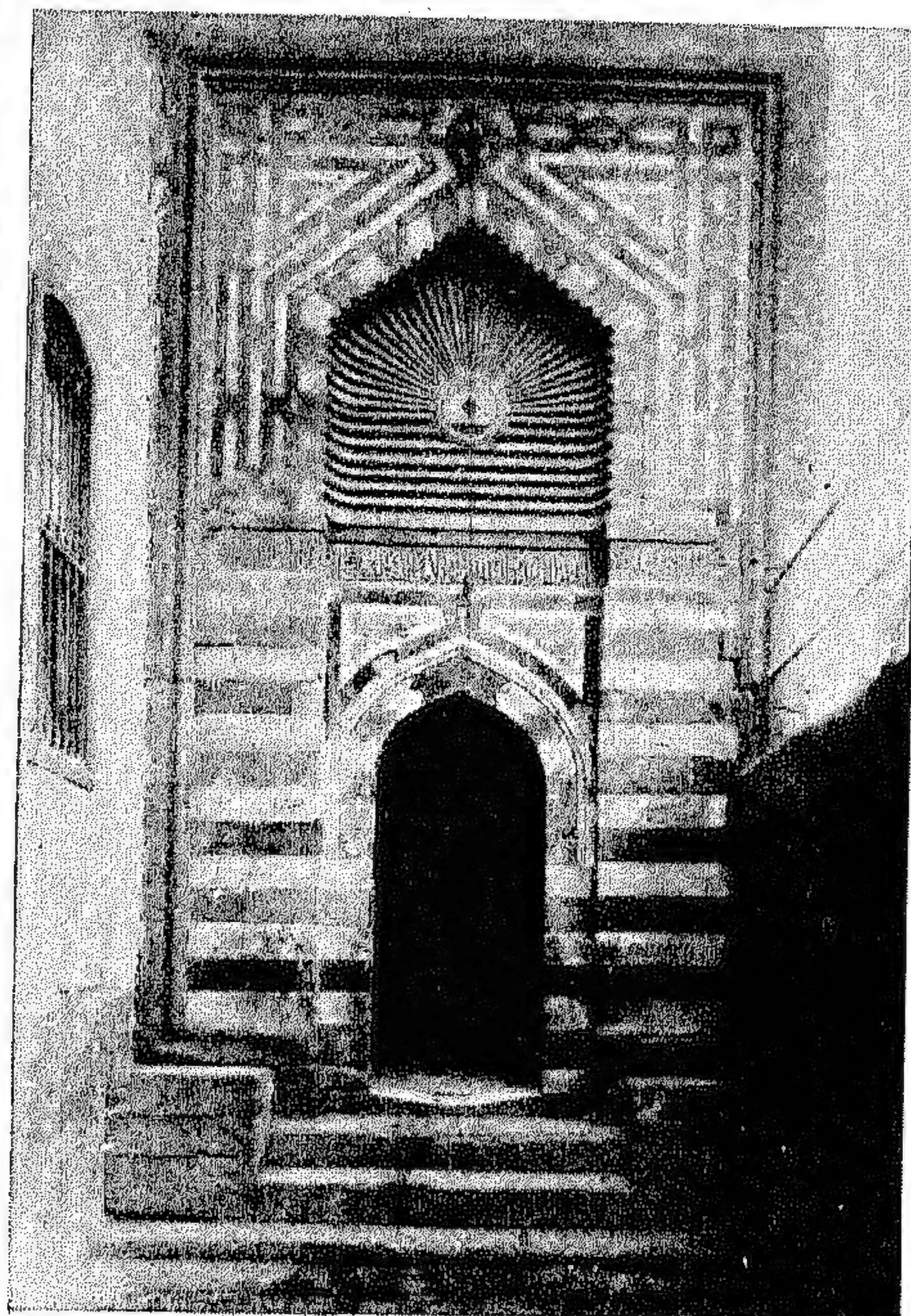
مسجد الناصر محمد بن قلاوون بالقاهرة



محراب مسجد الطنبغا المارداني

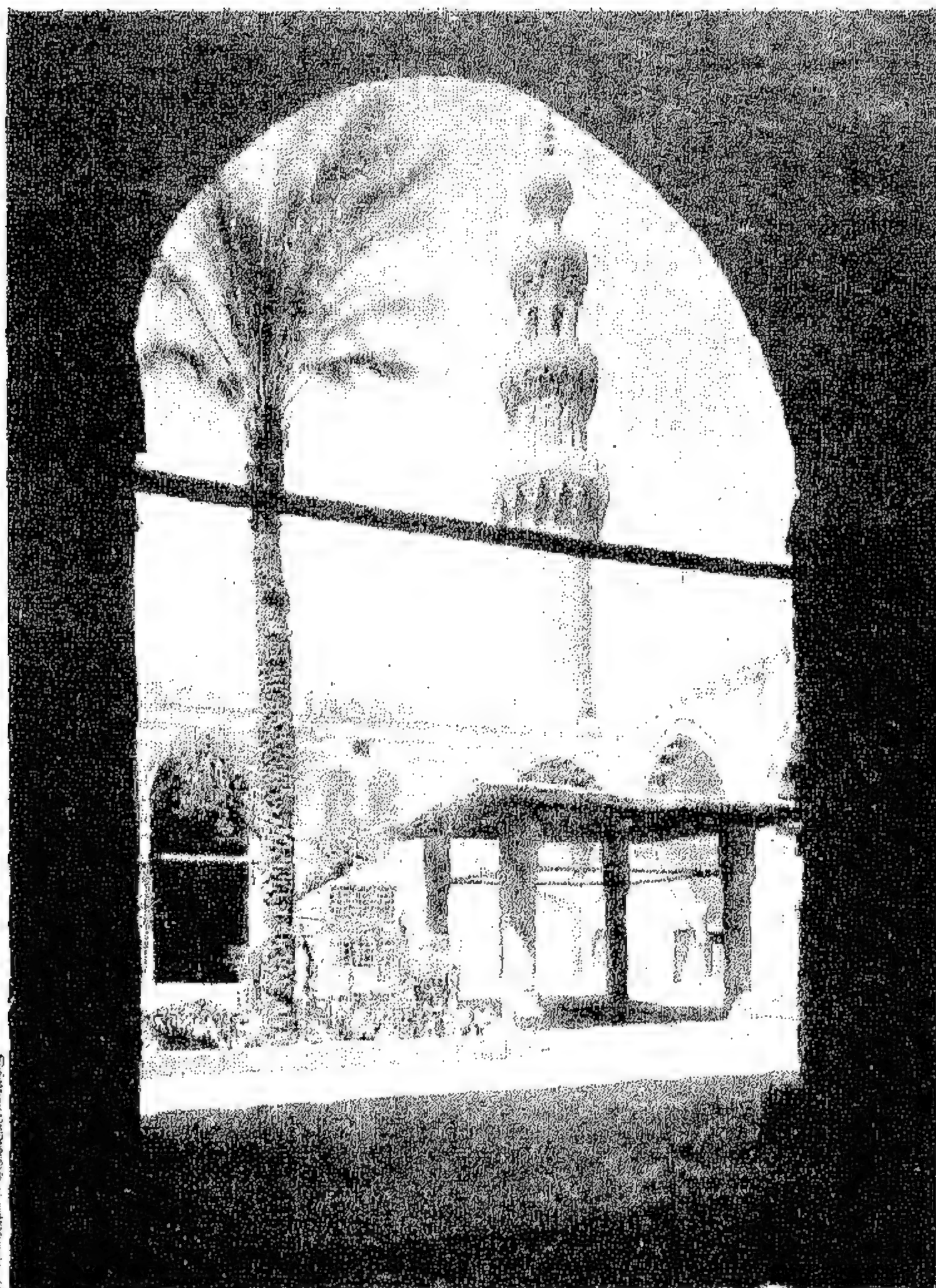


باب قصر الأمير قوصون
(يشبك من مهدى)

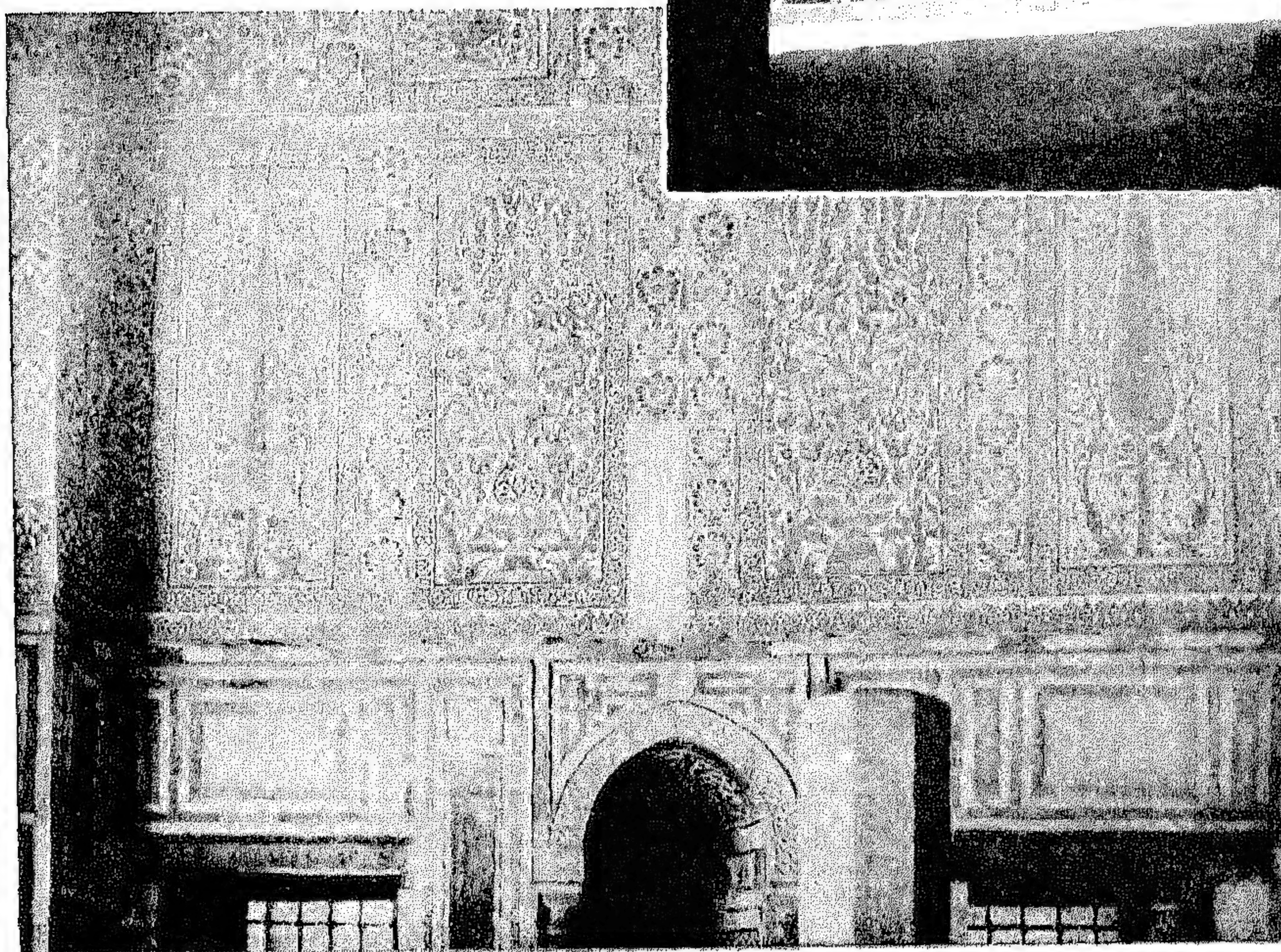


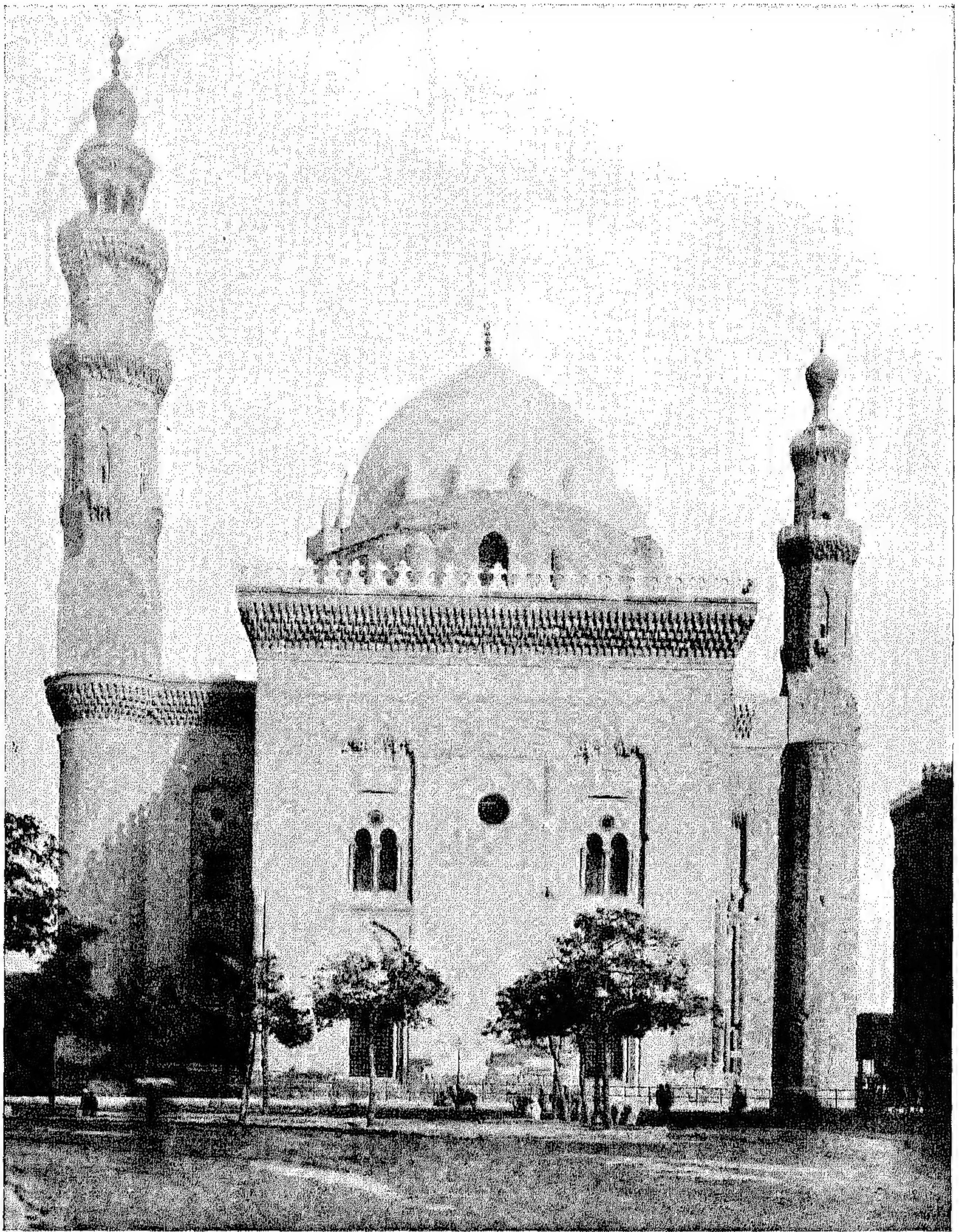
باب حمام الأمير بشتاك
بشارع سوق السلاح

داخل جامع آق سنقر
(ابراهيم آغا)



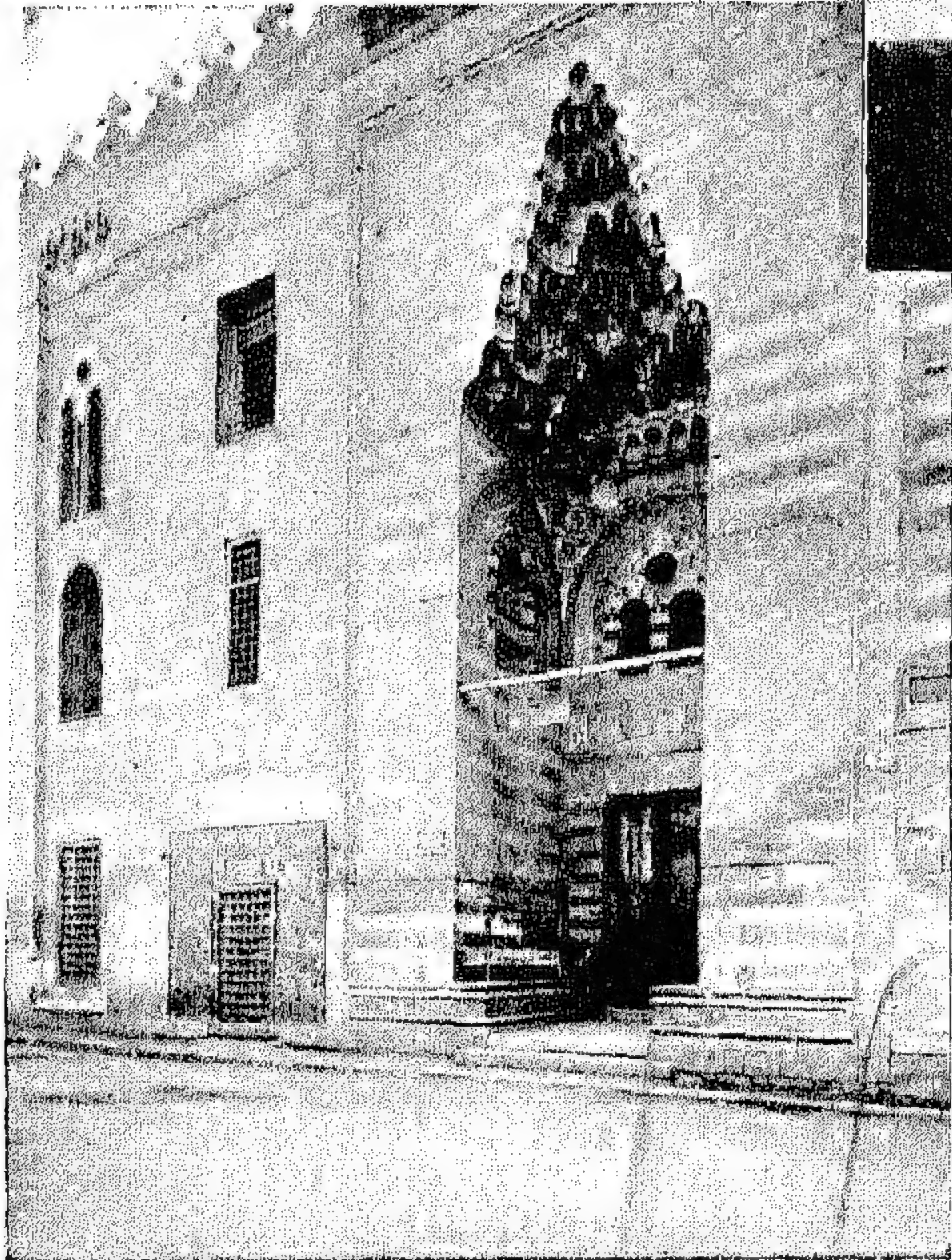
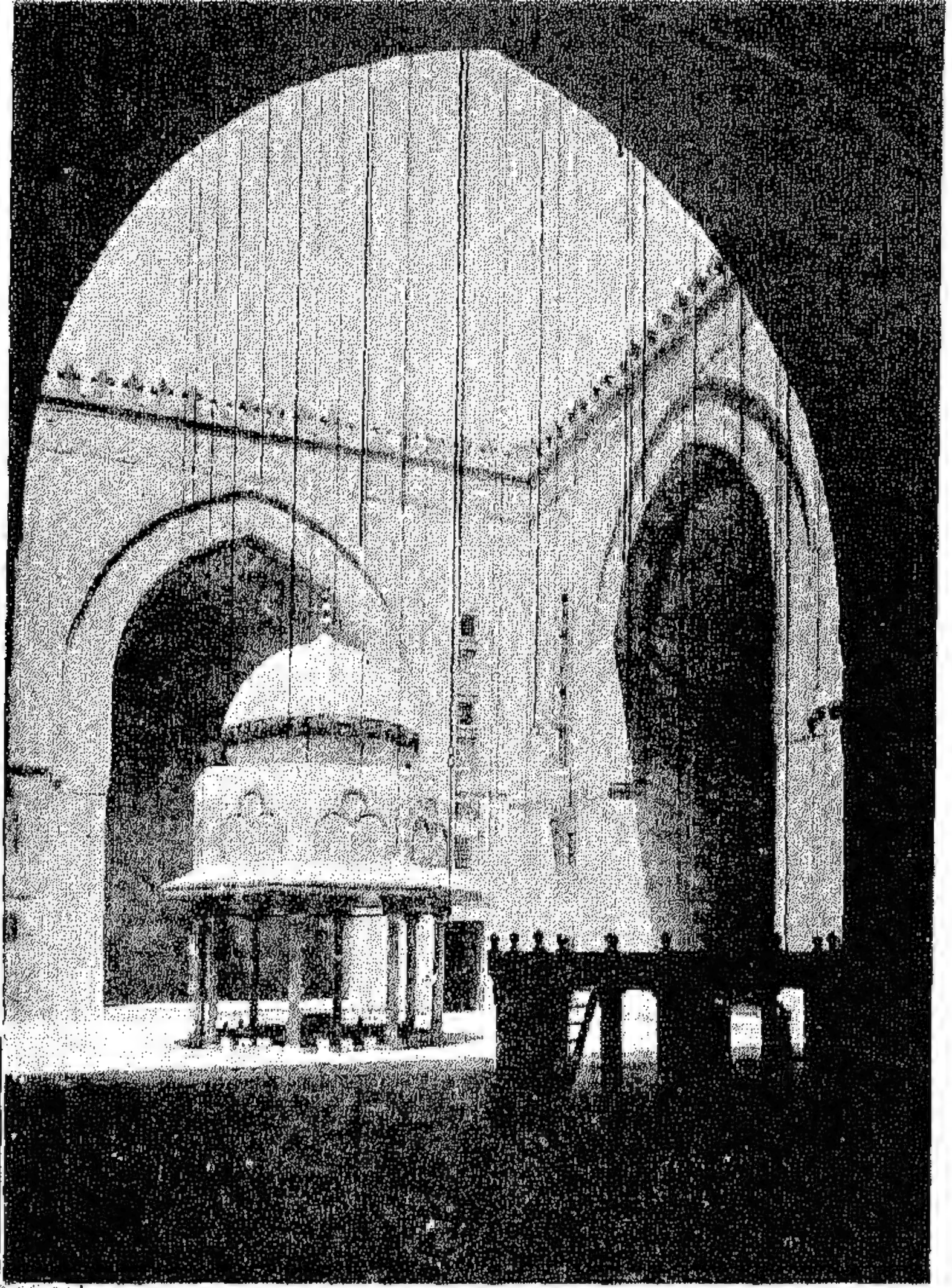
تفصيل من قاشاني مدفن ابراهيم آغا



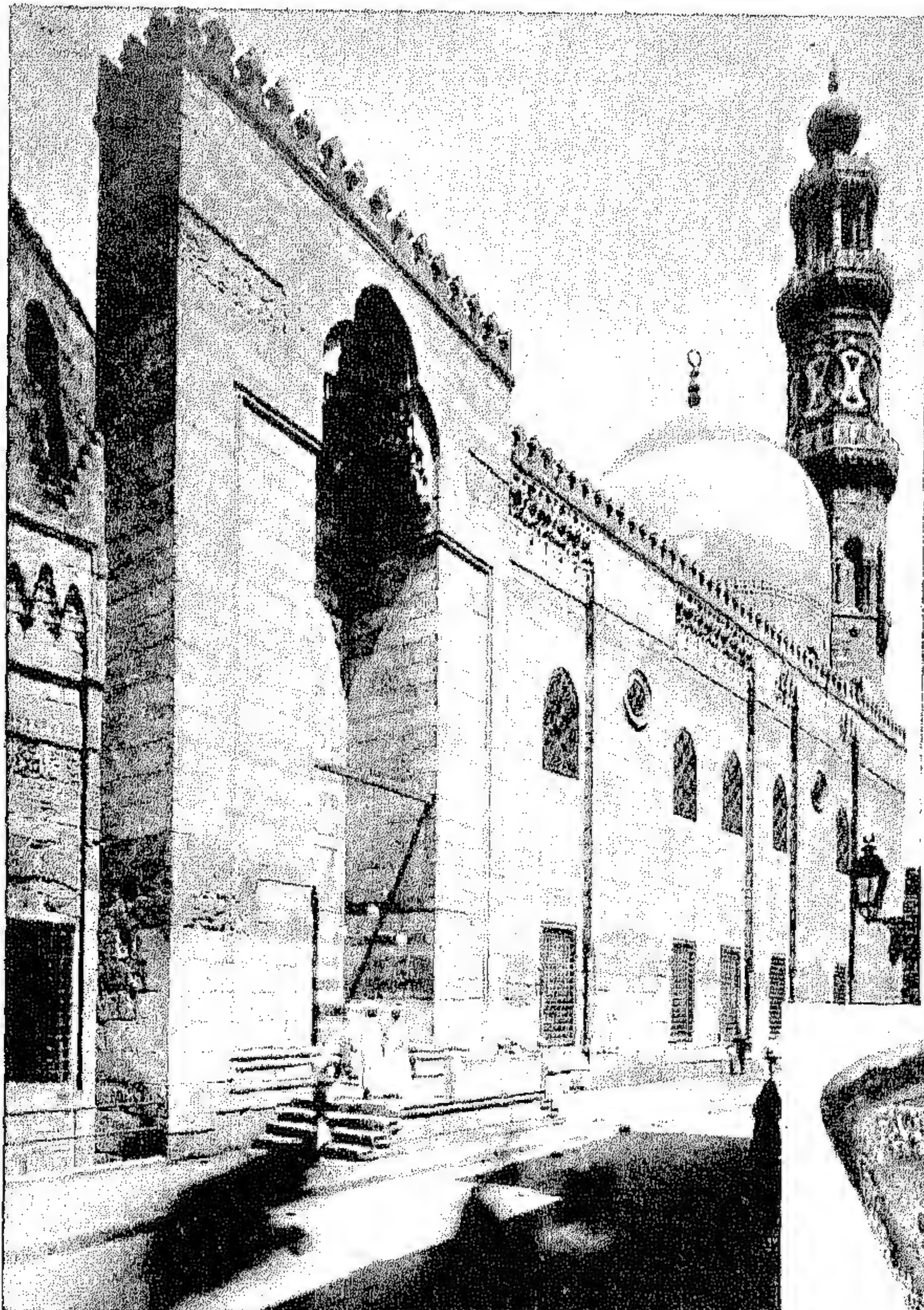


مدرسة السلطان حسن

داخل مدرسة السلطان حسن



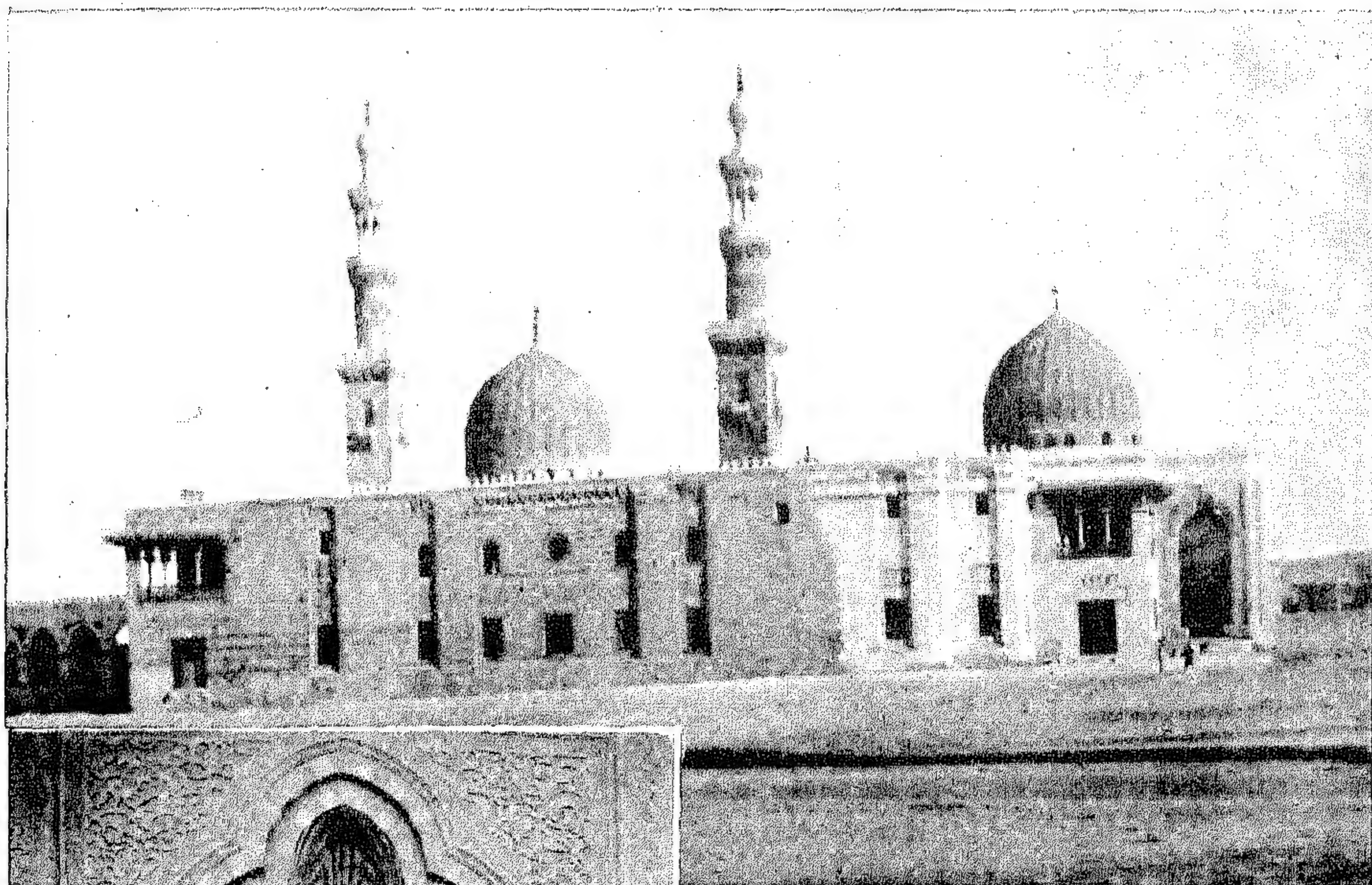
وجهة مدرسة أم السلطان شعبان



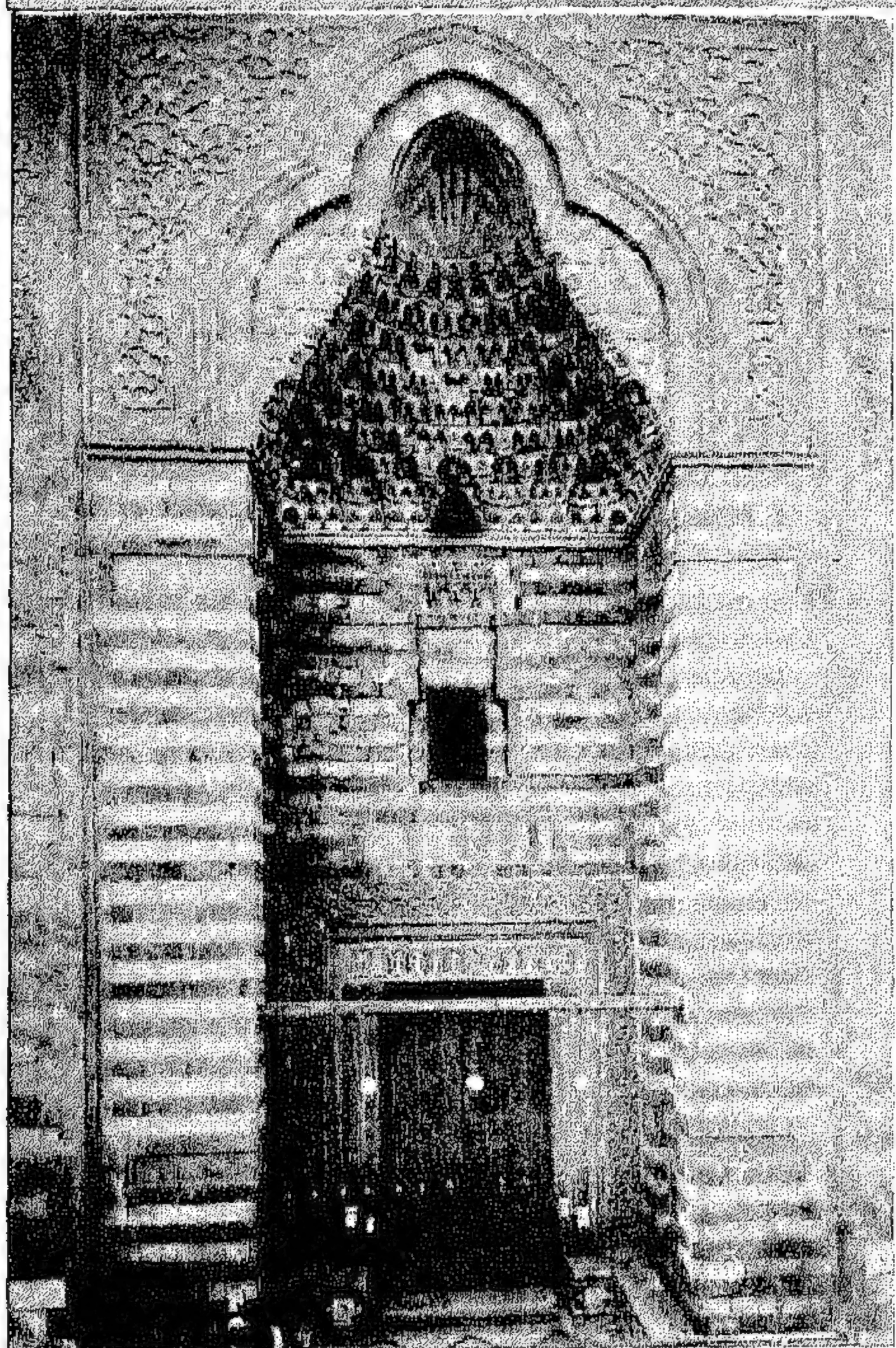
الوجهة الشرقية
لمدرسة وخانقاه الظاهر برقوق



مشكاة باسم الظاهر برقوق



الوجهة الغربية
لحديقة الناصر فرج بن برقوق



باب جامع المؤيد شيخ الحمودي

المالِك الجراكسة ، وكان المؤيد مُعنى به ومتعجلاً الفراغ منه حتى إنه احتفل بافتتاحه سنة ٨٢٢ هـ (١٤١٩ م) . ولم يكمل بعد ، ويؤخذ عليه نقله مصراعى باب مدرسة السلطان حسن وتركيبها فى مسجده ، وما زال حتى الآن وعليهما اسم السلطان حسن .
وفى الإيوان الشرقى تتجلى بدائع الفن . فالزخرف يغمر هذا الإيوان من الأرض إلى السقف ، وقد اتهم مهندسُه فرصة وجود باب زويلة بجوار المسجد فآخذ من بدنئيه قاعدتين لمنارتيه ، وهو اعتداء صارخ فى نظر الأثريين ، ولكنه كان موفقاً فيه كل التوفيق .

مدرسة الأشرف برسباى — بالأشرفية

أنشأها الملك الأشرف برسباى الدقماقى وانتهت عمارتها سنة ٨٢٩ هـ (١٤٢٥ م) ، ولهذه المدرسة منارة رشيقة وقبة حليت بزخارف دالية ، وامتازت بدقة وجمال أرضيتها الرخامية ومنبرها المطعم بالسن وسقف إيوانها الغربى المحلى بالنقوش المذهبة .

خانقاه الأشرف برسباى — بالقرافة الشرفية

ومن إنشائه خانقاه بالقرافة الشرقية سنة ٨٣٥ هـ (١٤٣٢ م) ، وألحق بها مصلى وقبة له ، ويستريح النظر فى المصلى والقبة جمال الأرضيات والوزرات الرخامية التى لا نظير لها ، أما المنبر فإنه منقول من مسجد الغمري ؛ وهو منبر قيم طعمت حشواته بالسن والزرنشان والأويمة برسوم ميزته على كثير من المنابر المعاصرة له . وترجع صناعته إلى حوالى سنة ٨٥٠ هـ (١٤٤٦ م) وصانعه هو النجار الماهر أحمد ابن عيسى بن أحمد الدمياطى .

مسجد قايتباى — بالقرافة الشرفية

أنشأه الملك الأشرف أبو النصر قايتباى الحمودى سنة ٨٧٩ هـ (١٤٧٤ م) ، وهو يكون مجموعة من مدرسة وملحقاتها وقبة وسبيل وكتاب ، والزائر لها يستهويه جمالها ورشاقها ، فقد تنوعت

رسوم الأرضيات الرخامية ورسوم السقوف ، وامتازت منارتها وقبتها بالرشاقة ودقة الزخرف ، ولا غرو فهي محط رحال زائري مصر لأنها جمعت أرق التفاصيل المعمارية التي وجدت في دولة المماليك الجراكسة .

مدرسة قجاس الإسحاقى — بالدرب الأحمر

أنشأها الأمير قجاس الإسحاقى الذى كان أميراً خور فى دولة الأشرف قايتباى ثم عين نائباً للشام ، وكان الفراغ من إنشائها سنة ٨٨٦ هـ (١٤٨١ م) ، وهى من أكثر مدارس دولة المماليك الجراكسة زخرفاً ، بل وتعتبر نموذجاً كاملاً لمنشآت هذا العصر ، فهى غنية بمختلف الصناعات ، وجميع تفاصيلها منسجمة وتنقل العين فيها من حسن إلى أحسن ، وامتاز محرابها بوجود اسم صانعه فيه بشكل زخرفى بما نصه — عمل عبد القادر النقاش — وسواء أكان هذا الصانع نقاشاً أم مراحماً فهو صانع ماهر ، وهو الذى قام أيضاً بأعمال النقش فى محراب وإيوان المدرسة المزهرية بمحارة برجوان المنشأة سنة ٨٨٤ هـ (١٤٧٩ م) ، وهى أيضاً من طرائف العمارة الإسلامية .

مسجد قانى باى الرماح — بميدان صلاح الدين

أنشأه الأمير قانى باى قرا المعروف بالرماح ، وكان الفراغ من إنشائه سنة ٩٠٨ هـ (١٥٠٢ م) ، ولم تستعمل فيه السقوف الخشبية عدا دركاة المدخل ، أما باقى الإيوانات فقد غطيت بعقود متنوعة ، ويعم الزخرف أحجار هذا المسجد كما كان يعمها التذهيب ، كما أن قبة من النماذج القيمة التى تتجلى فيها عظمة القباب المملوكية ، وفى سنة ١٩٣٩ أعادت إدارة حفظ الآثار العربية بناء منارته المزدوجة الرأس طبقاً لأصلها .

مسجد الغورى — بشارع الغورية

أنشأه الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغورى سنة ٩٠٩ — ٩١٠ هـ (١٥٠٣ — ١٥٠٤ م) .

ولاشك في أن هذا المسجد يعتبر تحفة هذا العصر ، فقد عني به عناية بالغة ، كما أفرط في زخرفته إفراطاً أخرجه من وقار المساجد إلى بهرجة القاعات ، مما حدا بالسلطان سليم أن يصفه حينما زاره بقوله : « هذه قاعة تاجر » .

وكما حرص مهندسو على التماثل والمضاهاة في جميع أجزائه الداخلية ، فقد تعدى هذا التماثل إلى خارجه فأنشأ تجاهه مدرسة وقبة وسبيلاً وكتّاباً اتفقت معه طولاً وعرضاً وزخرفاً ، فهياً لمن يعبر بينهما فرصة المتعة بجو فني يملأ النفس روعة وجلالاً .

العصر العثماني سنة ٩٢٣ هـ — ١٢١٣ هـ (١٥١٧ — ١٧٩٨ م)

كان لسقوط دولة المماليك الجراكسة ، ودخول مصر في حوزة الدولة العثمانية أثر كبير في تأخر الفنون والعمارة ، فما إن تم للسلطان سليم الاستيلاء على مصر سنة ٩٢٣ هـ (١٥١٧ م) حتى جمع مهندسيها وفنانيها وخيرة صناعها وأرسلهم إلى استامبول . وبذلك قضى على النشاط الفني والصناعي في مصر إلى حد كبير .

وبسبب تولى حكام أتراك نائبين عن السلطان في الحكم ، أدخلت على العمارة أماليب جديدة لم تكن مألوفة بمصر . وأنشئت مساجد تظهر لأول مرة بطرزها وزخارفها أذكر منها :

مسجد سليمان باشا — بالقاهرة

هذا المسجد من المساجد التي كانت قائمة قبل إنشاء القلعة شيده الأمير المرتضى أبو المنصور قسطله الأمرى سنة ٥٣٥ هـ (١١٤١ م) ، وفي سنة ٩٣٥ هـ (١٥٢٨ م) جدد إنشاءه سليمان باشا الخادم الذي عين والياً على مصر سنة ٩٣٢ هـ (١٥٢٦ م) . ويعتبر هذا المسجد أول المساجد التي أنشئت على الطرز العثماني البحت ، فهو مقسم إلى قسمين : الشرقي المعد للصلاة وتغطيه قبة كبيرة يحيط بها أنصاف قباب نقشت من الداخل بنقوش دقيقة ملونة ، وكتبت بها آيات من القرآن بخطوط متنوعة

بأشكال زخرفية ، وكانت مكسوة من الخارج بقاشاني أخضر . والقسم الثاني صحن مكشوف تحيط به أروقة مغطاة بقباب صغيرة .

مسجد سنان باشا — يولوف

أنشأه سنان باشا والى مصر سنة ٩٧٩ هـ (١٥٧١ م) ، ويتكون من قبة كبيرة لها ثلاثة أبواب تؤدي إلى ثلاثة أروقة يتألف سقفها من قبوات صغيرة محمولة على عقود ترتكز على أعمدة من الرخام أمام وجهاته الغربية والبحرية والقبلية .

مسجد الملكة صفية — شارع محمد علي

عرف هذا المسجد بالملكة صفية زوجة السلطان مراد الثالث ووالدة السلطان محمد خان الثالث ، وهي قينيسية الأصل ، ومنشئه هو عثمان أغا بن عبد الله مملوكها ، ووقف عليه أراضى وعقارات آلت مع المسجد بطريق شرعى إلى سيدته الملكة صفية ، فأمرت بإتمامه ونقش لوحة تاريخية باسمها مؤرخة سنة ١٠١٩ هـ (١٦١٠ م) وتصميمه مثل تصميم مسجد سليمان باشا إلا أنه أقل منه زخرفاً مع اختلاف فى التفاصيل . وامتاز هذا المسجد بالسلم المستدير أمام وجهاته .

مسجد أبو الذهب — شارع الأزهر

أنشأه الأمير الكبير محمد بك أبو الذهب سنة ١١٨٨ هـ (١٧٧٤ م) ، وألحق به تكية لمتصوفى الأتراك وسبيلاً وحوضاً لشرب الدواب . وتصميمه مثل تصميم مسجد سنان باشا ، به قبة كبيرة لها ثلاثة أبواب تؤدي إلى ثلاثة أروقة معقودة أمام وجهاته الثلاث ، وامتازت منارته عن منارات عصرها بأنها مملوكية الطراز وأقرب إلى طرز منارة مسجد الغورى .

ويلاحظ أن هذا المسجد كان يغلب عليه الزخرف المذهب مما جعل المنشئ يستحق عن جدارة

تلقينه بأبي الذهب ، وبه نكتفى من سلسلة المساجد العثمانية البحتة وننتقل إلى أجمل مسجد أنشئ في العصر العثماني .

مسجد البرديني - بشارع الداودية

أنشأه كريم الدين أحمد البرديني سنة ١٠٢٥هـ (١٦١٦ م) ، وانهت منارته سنة ١٠٣٨هـ (١٦٢٨ م) . وهو وإن أنشئ في العصر العثماني إلا أن تفاصيله جميع مقتبسة من تفاصيل العمار المملوكية . وهو صغير الحجم عبارة عن قاعة صغيرة أحيطت بوزرة رخامية دقيقة جداً . وله محراب رخامي دقيق ومنبر صغير مطعم بالصدف . وتمتاز أيضاً منارته بأنها مملوكية الطرز مما جعل هذا المسجد درة المساجد المنشأة في العصر العثماني .

وفي هذا العصر كثر إنشاء السبيل منفرداً يعلوه كتاب ، وأجمل هذه الأسبلة هو السبيل الذي أنشأه الأمير عبد الرحمن كتحدا بشارع بين القصرين سنة ١١٥٧هـ (١٧٤٤ م) . ولم تقتصر أهمية هذا السبيل على تفاصيل وجهاته الغنية بالنقش في الحجر وبتطعيم الرخام ، بل تعدته إلى داخله المكسو بالقاشاني المرسوم فيه صورة الكعبة الشريفة .

وتختلف من العصر العثماني مجموعة من المنازل كاملة وغنية بشتى الفنون ، أذكر منها :

منزل الكريدلية - بميدان أحمد بن طولون

أنشأ هذا المنزل الحاج محمد سالم بن جلمام الجزائر سنة ١٠٤١هـ (١٦٣١ م) . وهو في طريقة بنائه كباقي منازل القرن الحادي عشر من حيث التصميم واشتماله على مقعد يشرف على الحوش وقاعات علوية ، وامتاز عليها بمميزات هامة ؛ منها اشتمال وجهاته المطلّة على الحوش على مجموعة من العقود تنوعت أشكالها ومقرنصاتها ؛ ومنها إلحاق سبيل كبير بناصيته الشرقية القبلية ميزته على بقية المنازل بمصر .

ويقابل هذا المنزل منزل آخر عرف بمنزل آمنة بنت سالم يربطه بالأول من أعلى سابط (كوبرى) محمول على عقد ستينى يظهر من خلفه الباب الشرقى للجامع الطولونى وزيادته البحرية المنتهية بمئذنة مسجد صرغتمش المنشأ سنة ٧٥٧ هـ (١٣٥٦ م).

وهذا المنزل أنشأه المعلم عبد القادر الحداد سنة ٩٤٧ هـ (١٥٤٠ م)، ويشتمل على قاعة غنية بنقوش سقفها المجددة، و بالفسقية الدقيقة المنقولة إليها، وقد تسلم هذين المنزلين المرحوم جاير اندرسون باشا سنة ١٩٣٥ م، وأقام بهما وعنى بتنسيق مجموعاته الأثرية فيهما بذوق سليم. وهى مجاميع مختلفة جمعت شتى الطرف والأثاث من عربية وفارسية وتركية مع مجموعة من السجاد والأكلمة ذات الألوان الزاهية، كما ألحق به مكتبة قيمة.

وفى سنة ١٩٤٢ م غادر مصر وترك هذه المجموعة هبة للحكومة المصرية فعنيت بها وحولت الدارين إلى متحف أطلقت عليه «متحف جاير اندرسون باشا».

وقد أنعم عليه حضرة صاحب الجلالة الملك برتبة الباشوية فى شهر مارس سنة ١٩٤٣ تقديرأ له على هبته الثمينة.

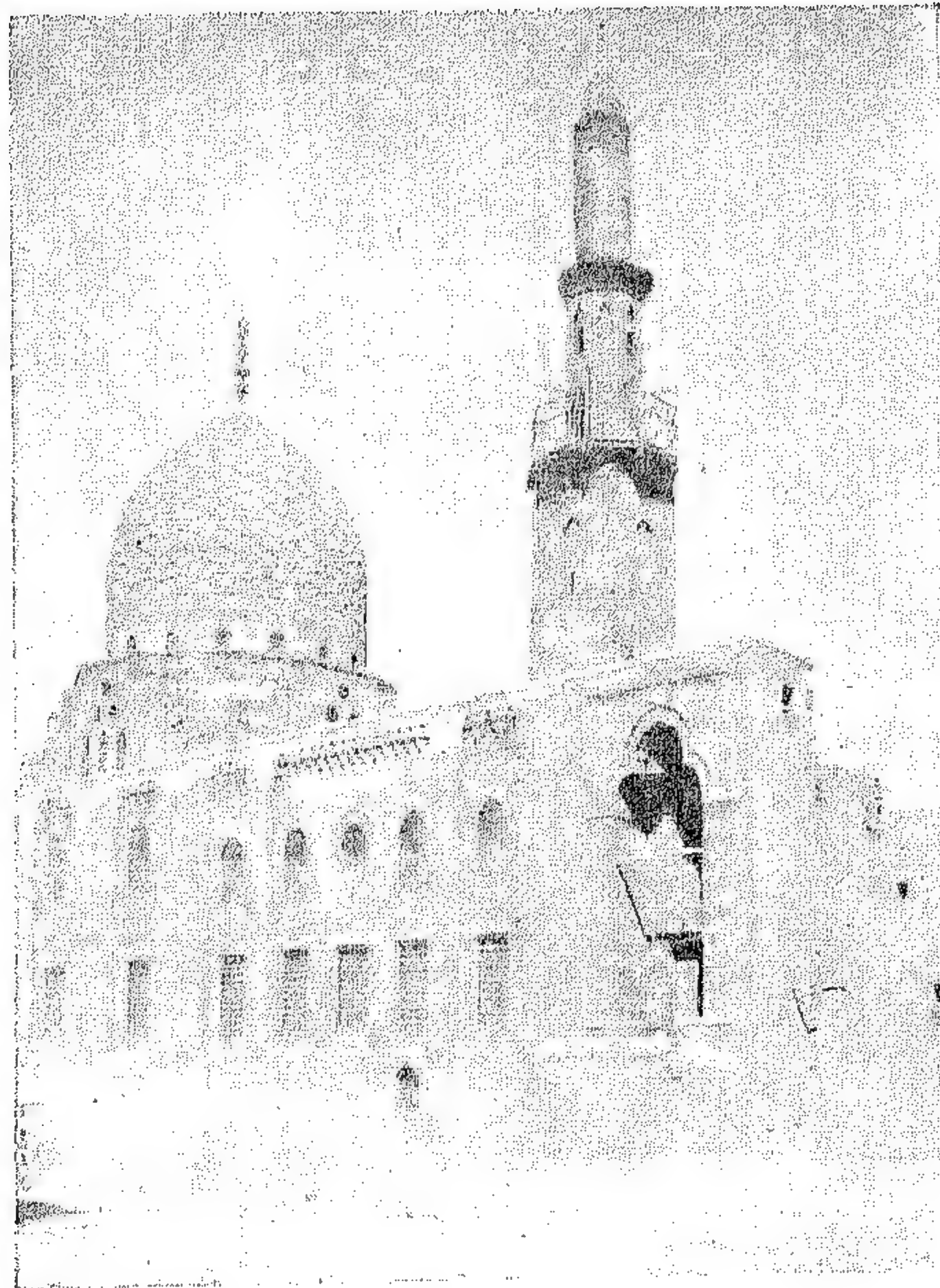
منزل جمال الدين الذهبى — بحارة فوسفير

أنشأه الخواجا جمال الدين الذهبى شاه بندر التجار بمصر سنة ١٠٤٧ هـ (١٦٣٧ م)، وتمثلت فيه جميع تفاصيل الدور القديمة من مدخله المتعرج إلى مقعد يشرف على الحوش إلى قاعة علوية تعتبر أغنى قاعة فى الدور الأثرية.

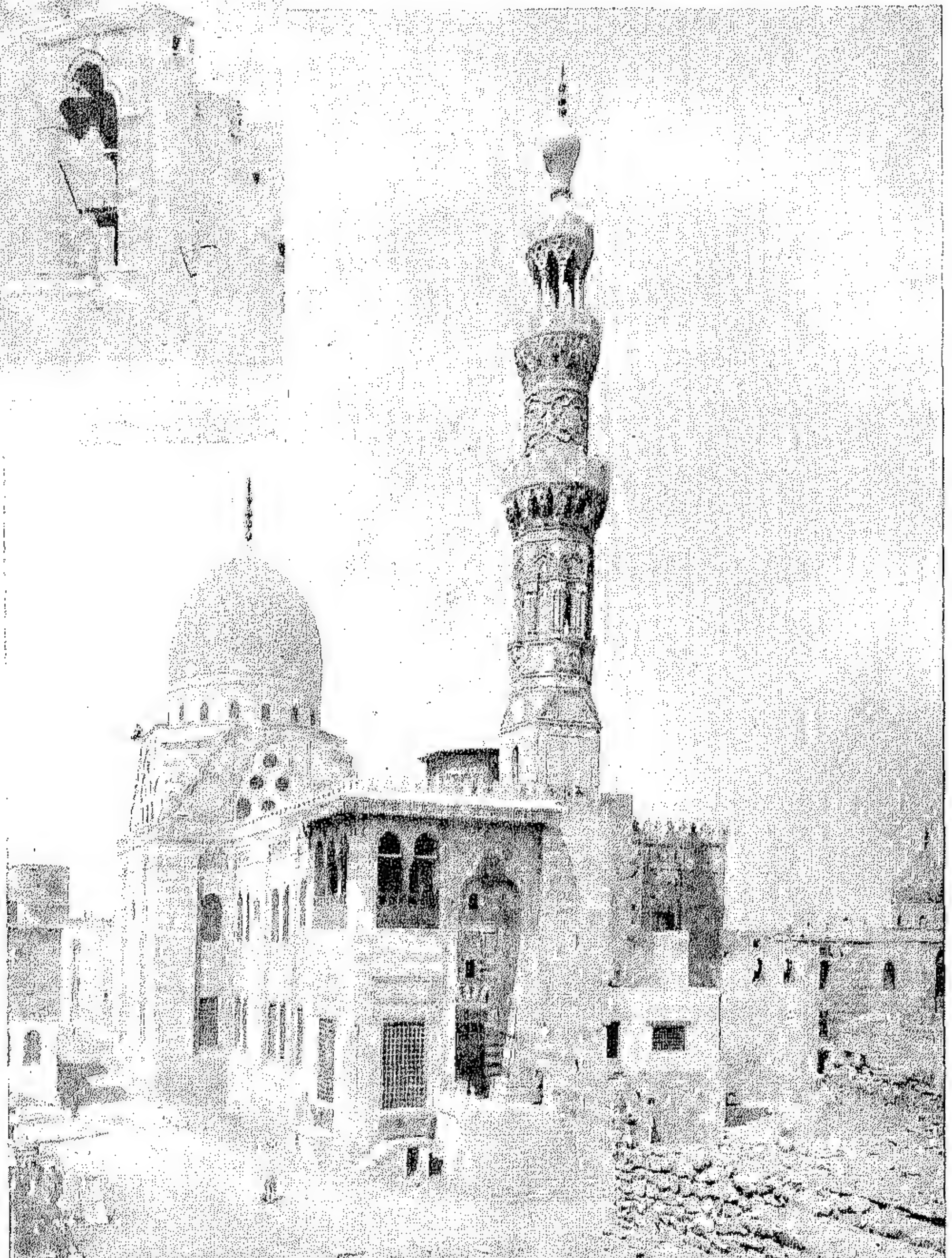
منزل السجيمى — بالدرب الأصفر بالجماينة

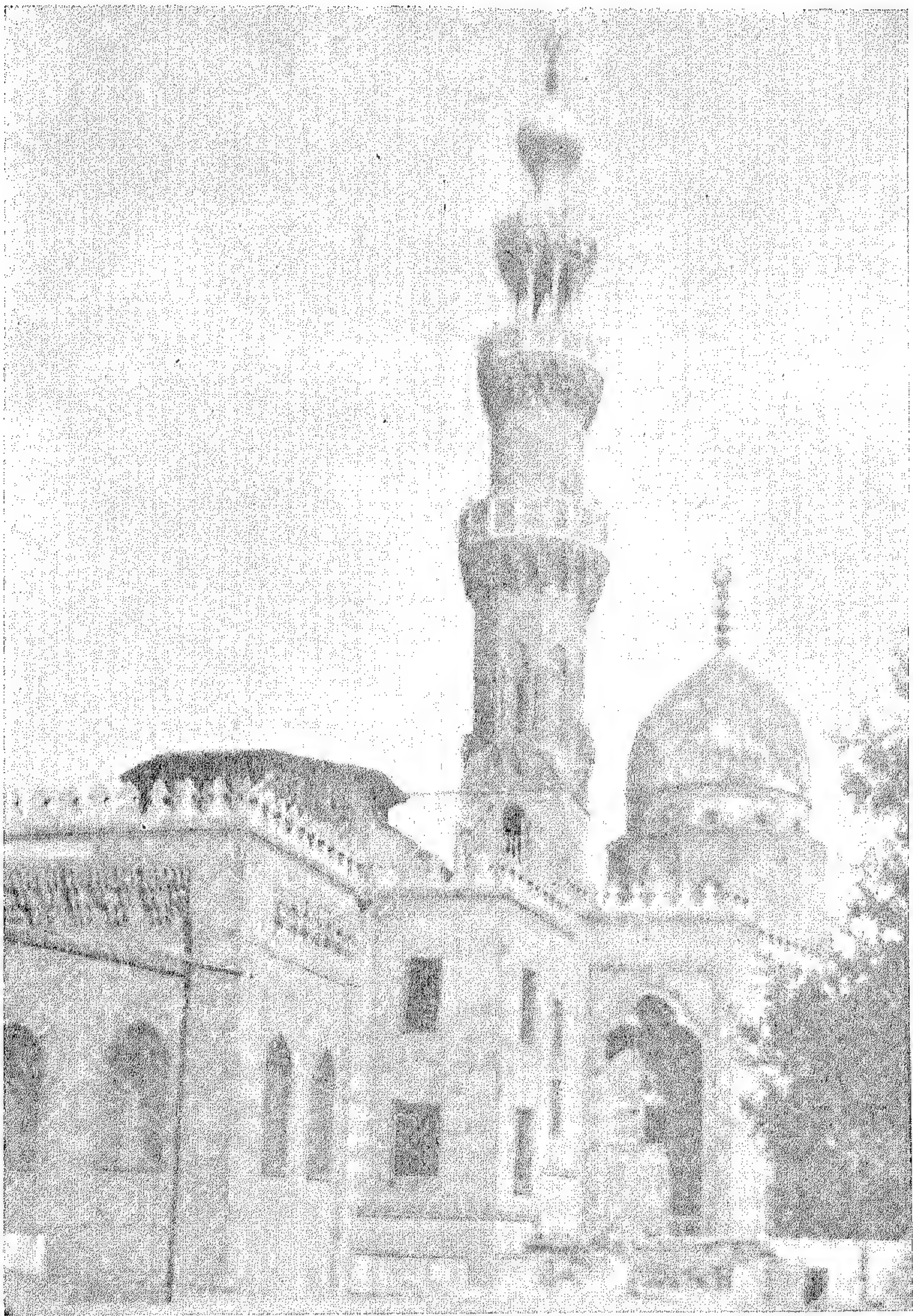
هذا المنزل مقسم إلى قسمين : أحدهما وهو القبلى أنشأه الشيخ عبد الوهاب الطبلاوى سنة ١٠٥٨ هـ (١٦٤٨ م)، ويشمل المقعد والقاعة أسفله والقاعة الشرقية القبلىة والقسم الآخر، وهو

الوجهة الغربية لخانقاه الأشرف برسبای

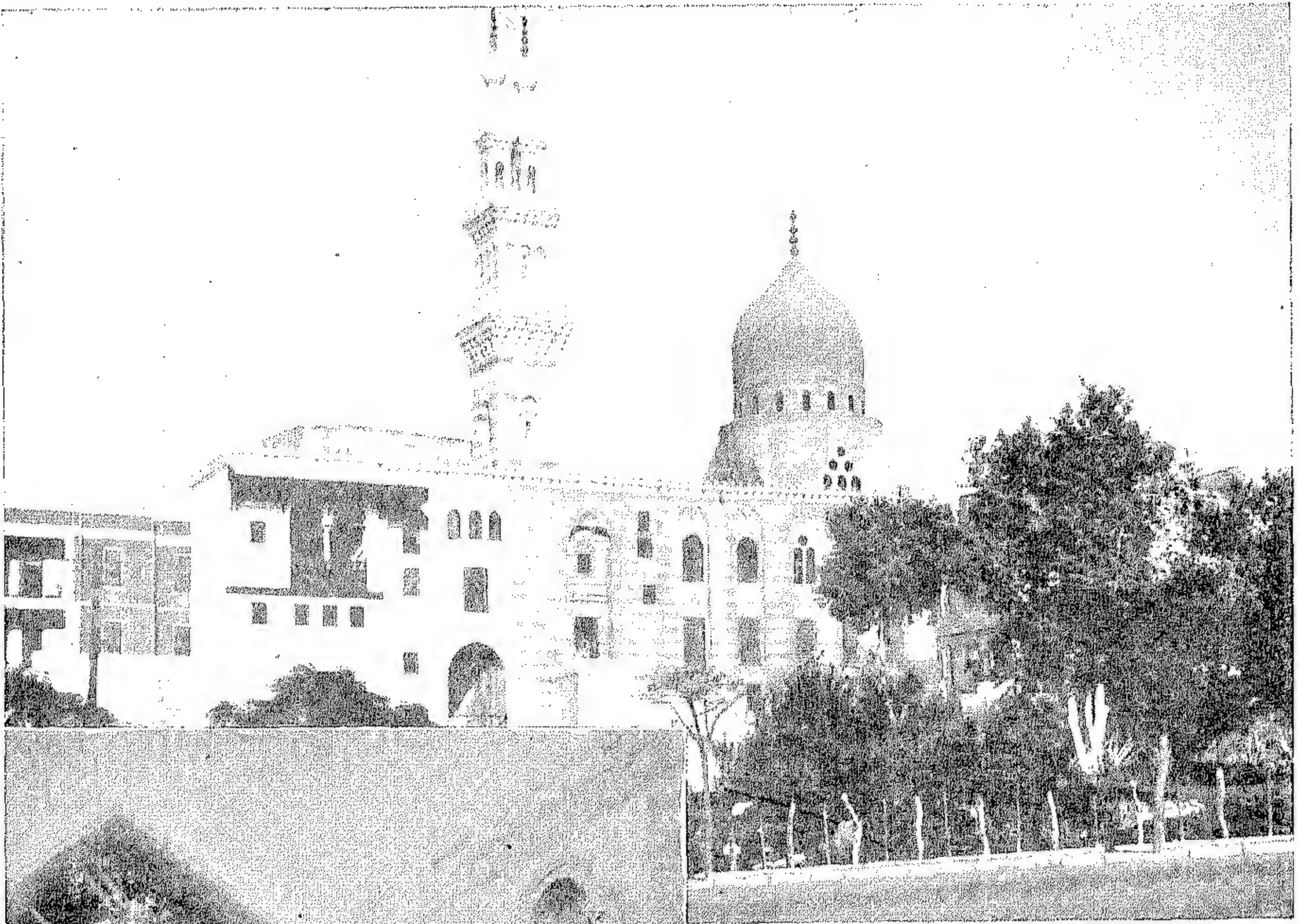


مسجد السلطان قایتبای
بالقراقة الشرقية

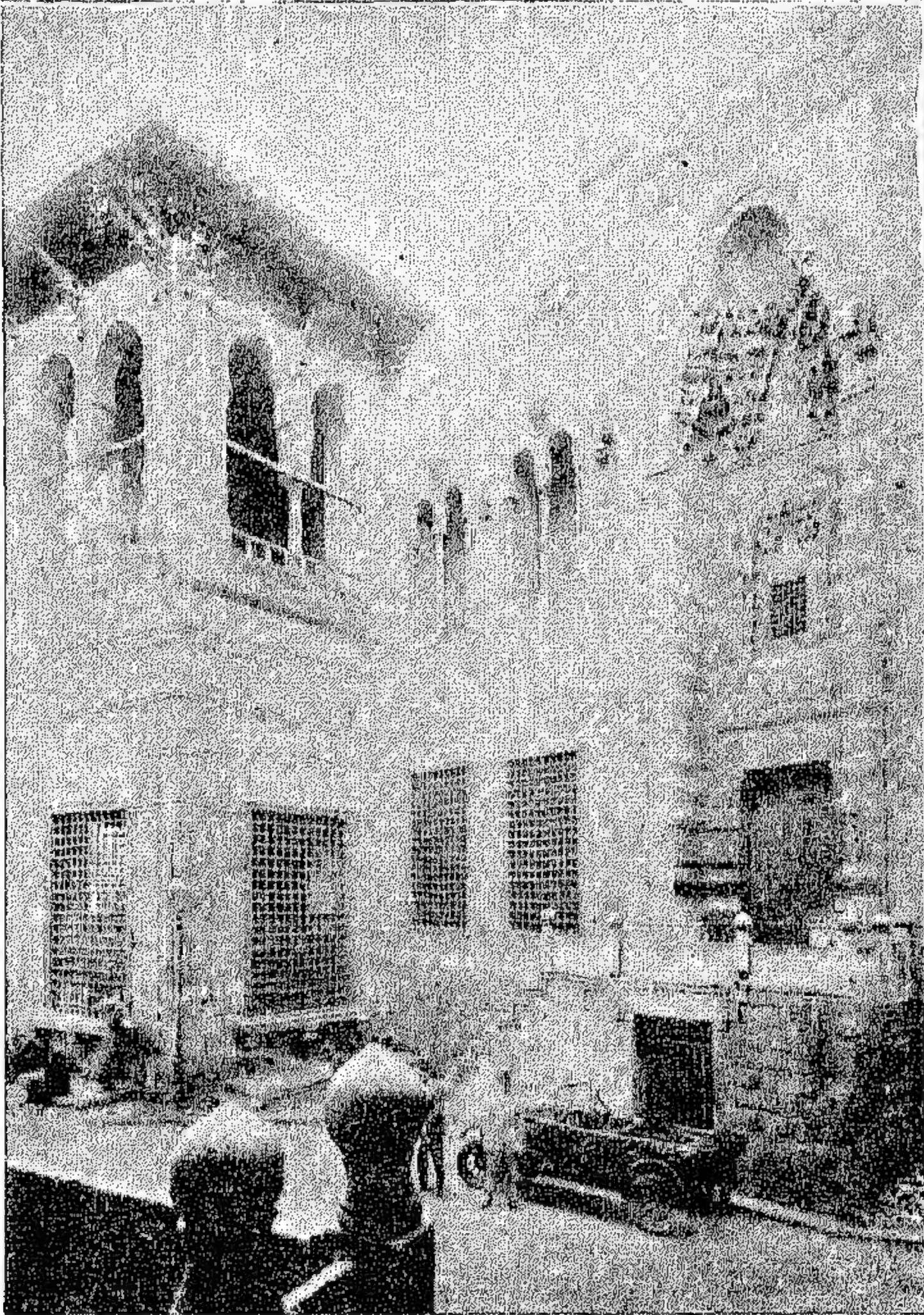




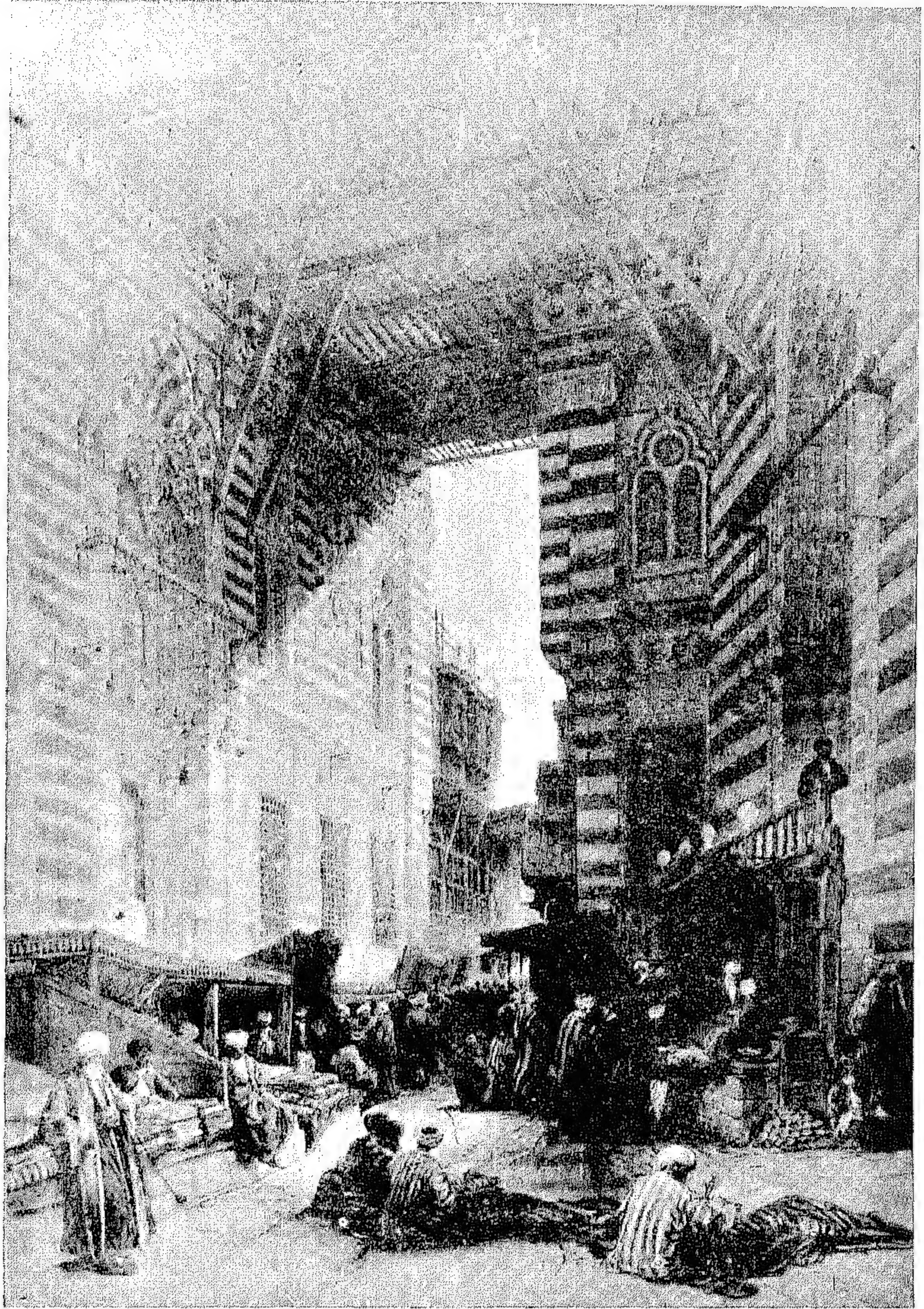
مدرسة قچماس الإسحاقی



الوجهة القبليّة لمسجد قاني باي الرّمّاح



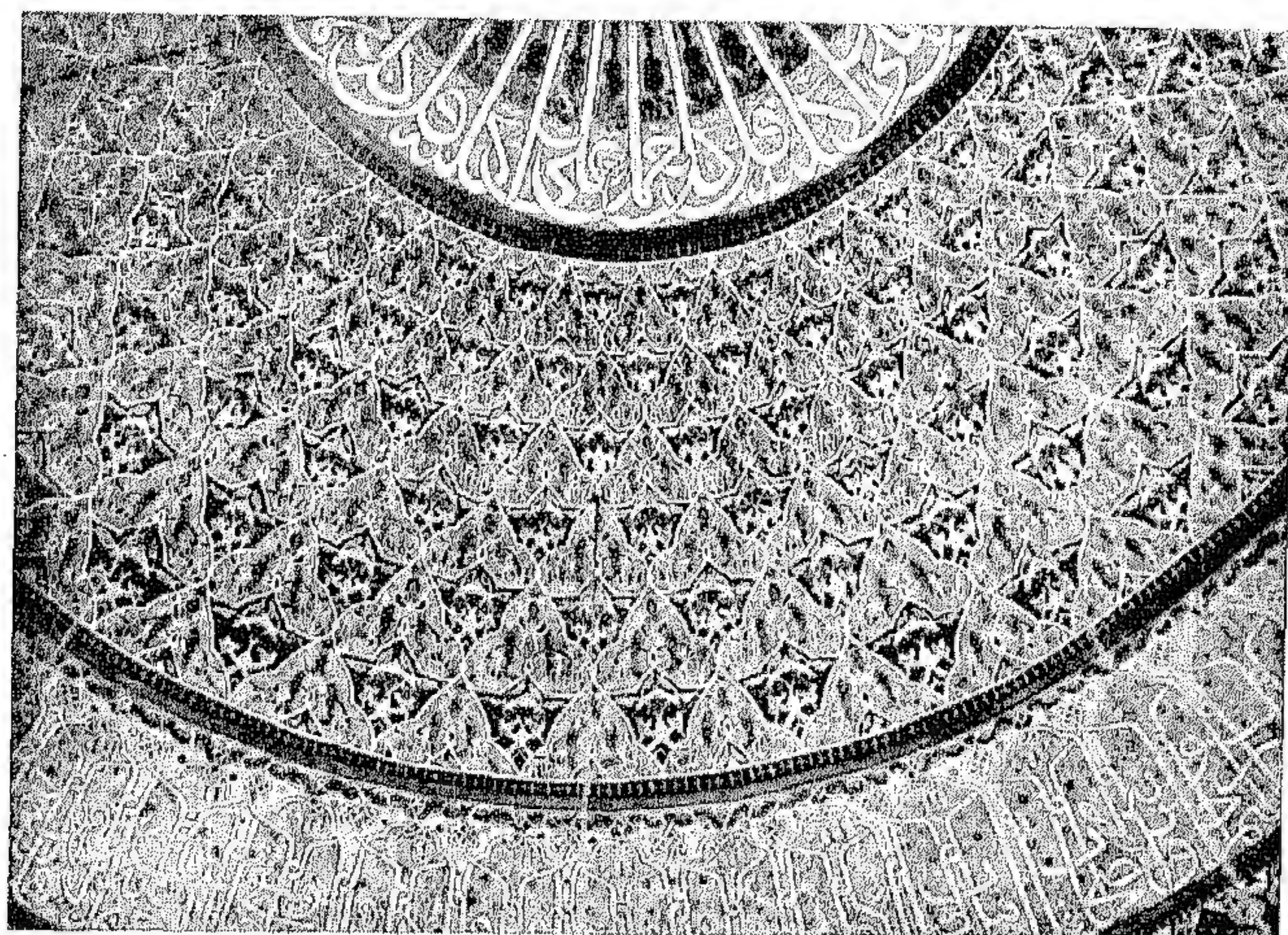
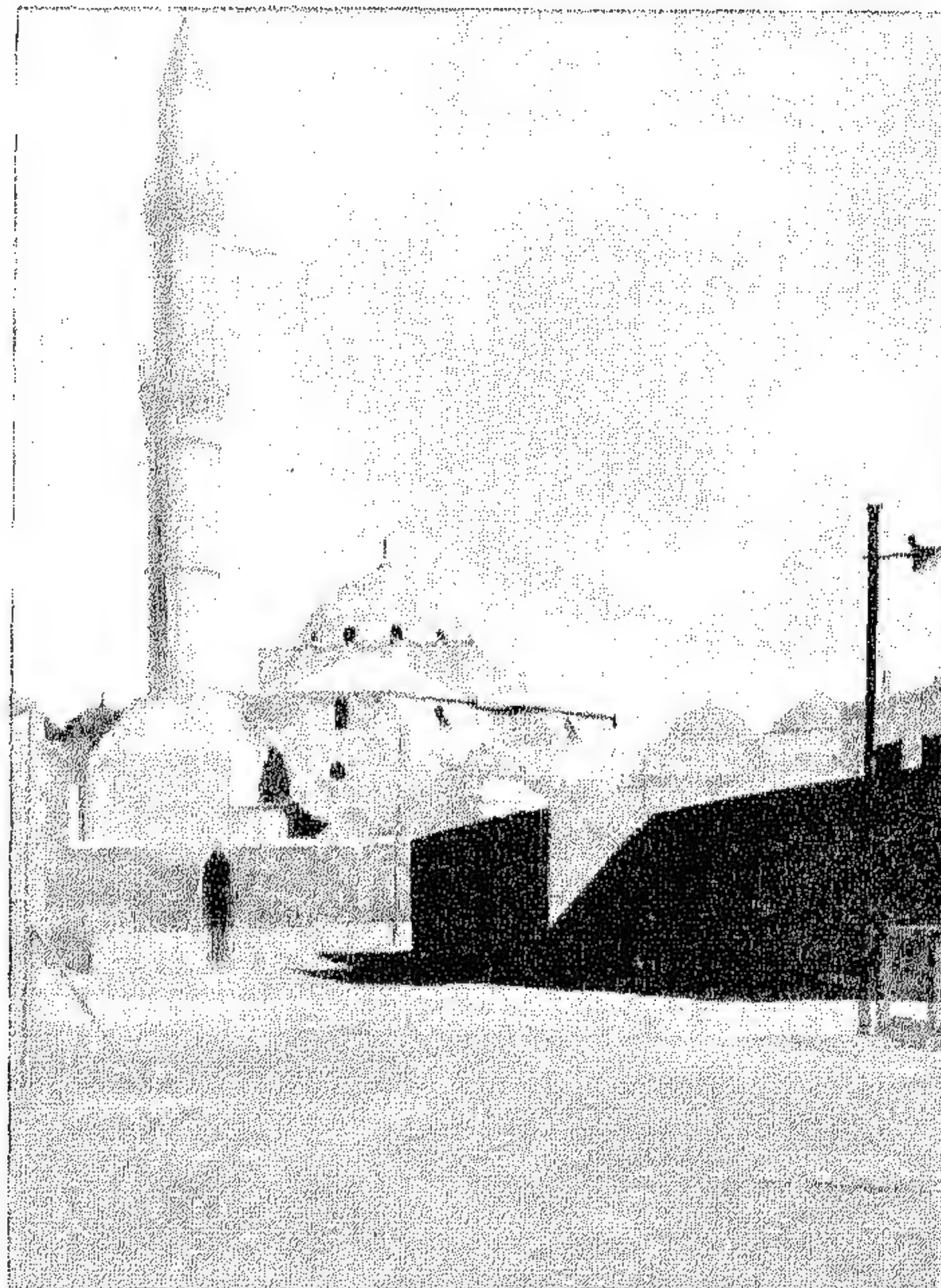
وجهة قبّة وسبيل
السلطان قانصوه الغوري



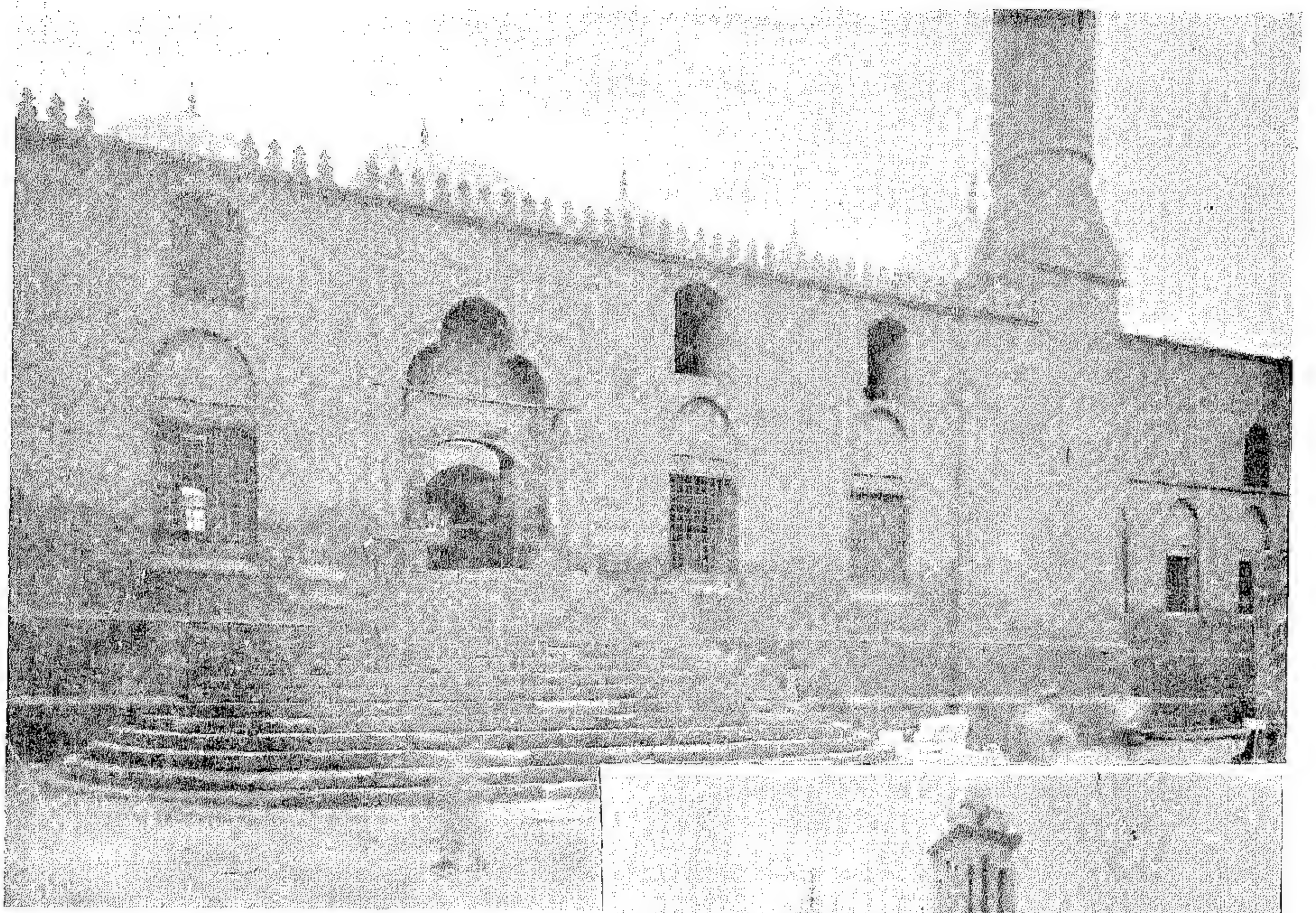
مسجد وقبة السلطان الغوري تجمعهمما السقيفة

(عن دافيد روبرت)

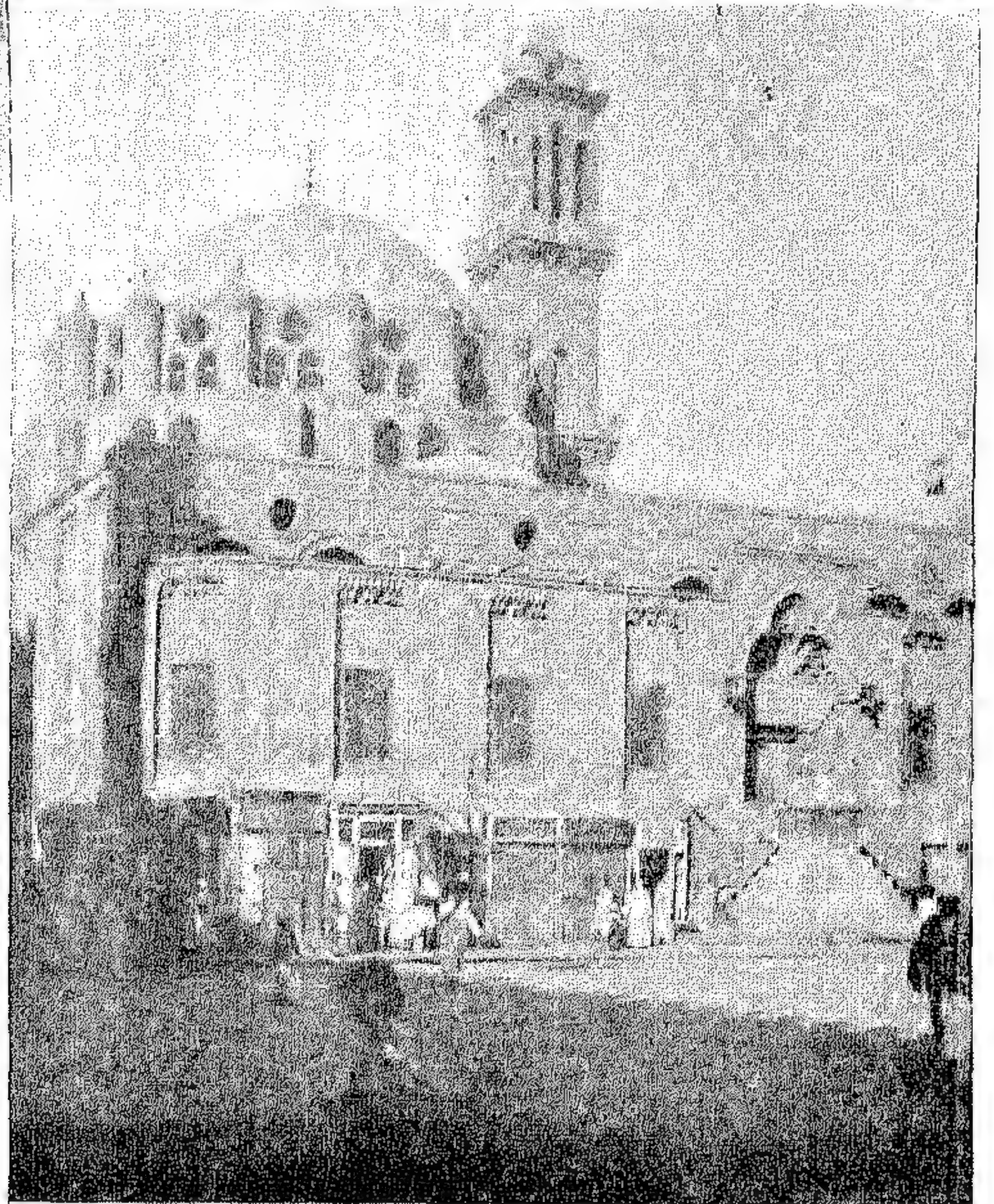
مسجد سليمان باشا الخادم بداخل القلعة



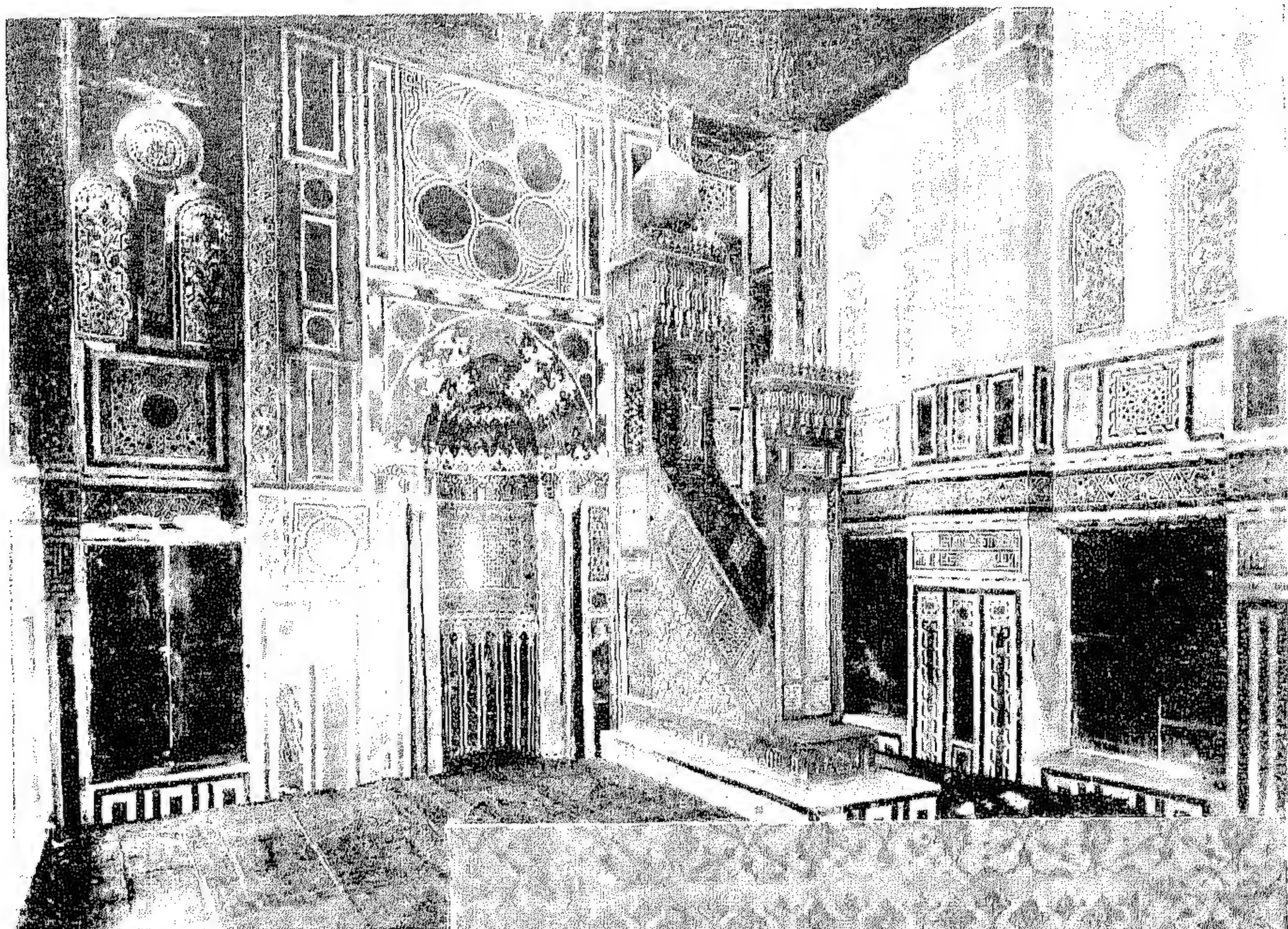
تفاصيل من زخارف القبة
الكبيرة بمسجد سليمان باشا
الخادم



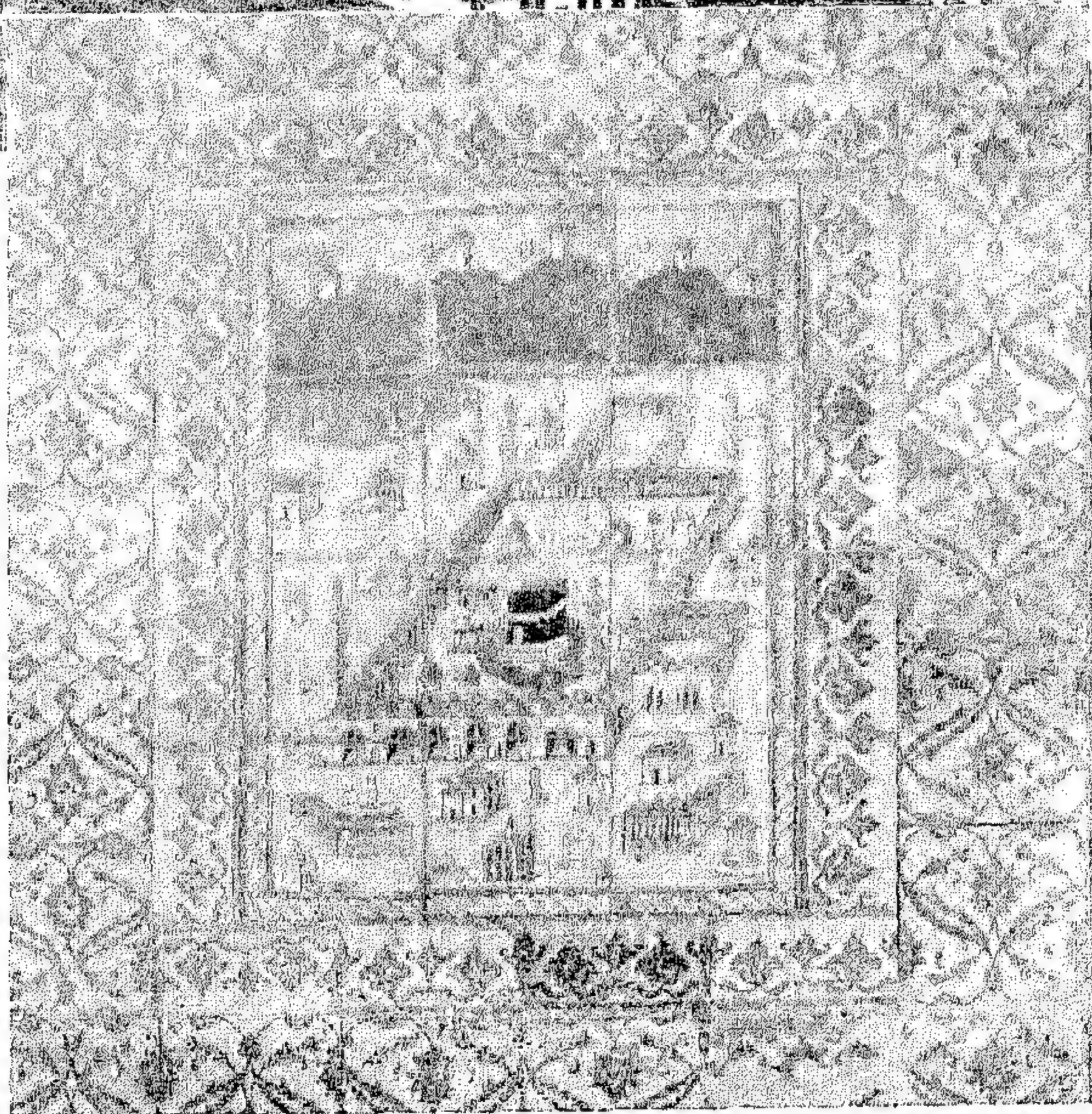
الوجهة القبليّة لمسجد الماسكة صفيّة



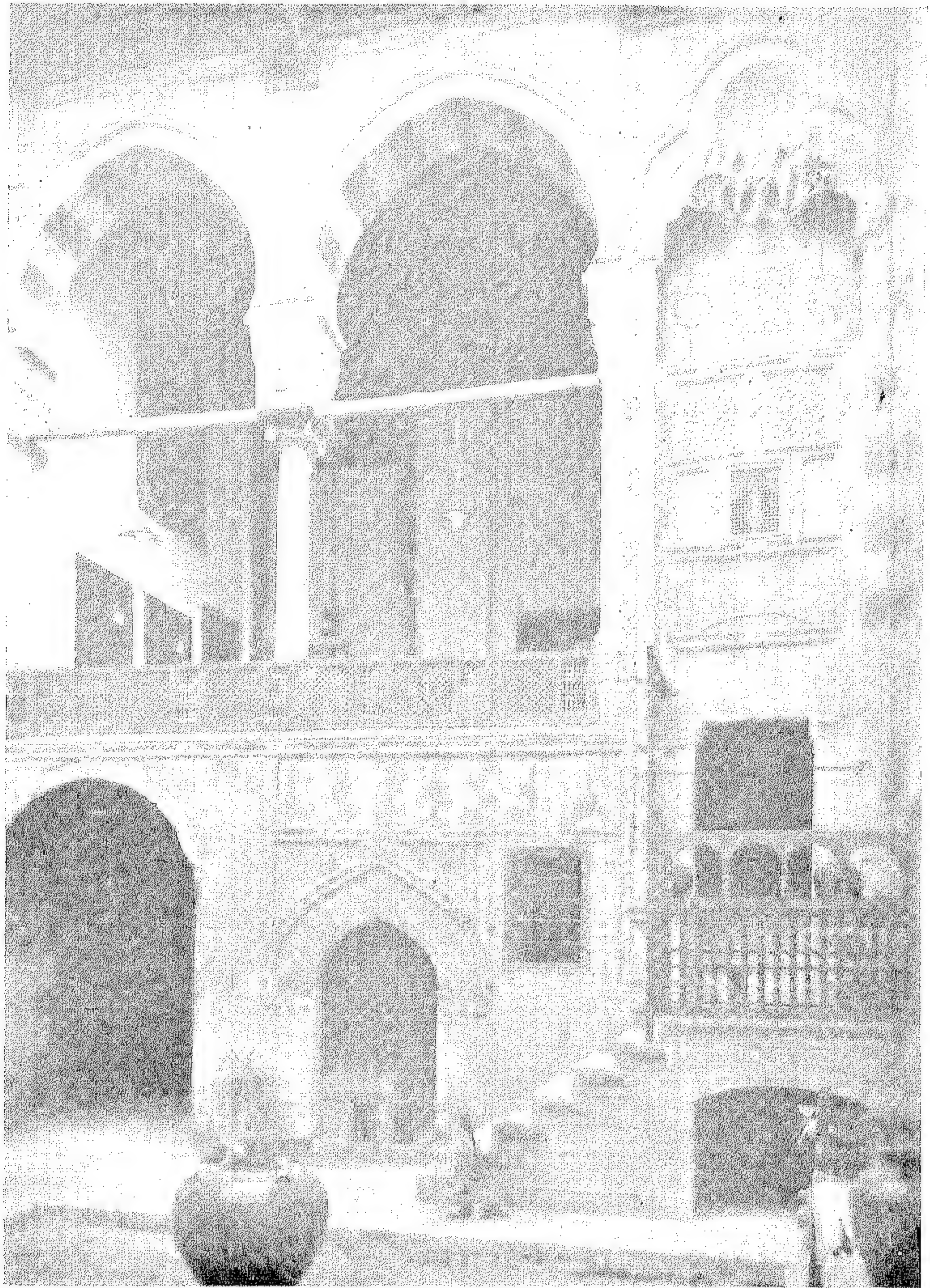
مسجد محمد بك أبو الذهب



داخل مسجد البردینی



تفصیل من القاشائی بد داخل سیل
عبد الرحمن کتبخدا



مقعد بداخل منزل الكريدليّة

البحرى أنشأه الحاج اسماعيل بن الحاج اسماعيل شلى سنة ١٢١١ هـ (١٧٩٦ م) ، وربطه بالقسم الأول ، وهذا القسم غنى بزخارفه وخاصة القاعة الغربية ذات الفسقية الدقيقة ، والقاعة العلوية البحرية المكسوة جدرانها بمجموعة قيمة من القاشانى .
وعرف المنزل بالسحيمى نسبة إلى آخر مالك له هو السيد محمد أمين السحيمى الذى كان شيخاً لرواق الأتراك بالأزهر .

آثار الأقاليم

وفى هذا العصر الذى رأينا فيه ذلك التنوع فى العمارة وتفاصيلها ودخول عناصر جديدة فيها . نجد العمارة اتخذت طريقاً آخر مكملًا لعصر المماليك الجراكسة فى بلدان الوجهين البحرى والقبلى لا يمت بصلة إلى الطراز الذى كان سائداً فى مصر فى ذلك الوقت . بل وظلت تقتبس من طراز دولتى المماليك بشكل مبسط فى مواد البناء مع المحافظة عليه .
وفى بعض هذه البلاد ازدهر البناء بالطوب والتفنن فى نقشه ، وخاصة فى مدينة رشيد .

مدينة رشيد

ولمدينة رشيد مكانة عظيمة عند علماء الآثار للفنن المصرى والإسلامى ، فعلماء الآثار المصرية مدينون بالفضل إلى حجر رشيد مفتاح اللغة المصرية القديمة ، وعلماء الآثار الإسلامية معجبون بطرز البناء فى منازلها . تلك المجموعة القيمة النادرة . وإلى الآن نرى فيها شوارع كاملة بمنازلها القديمة ، أهمها : شارع دهليز الملك وحارة الحاج يوسف وحارة بدر الدين وشارع الشيخ قنديل وحول مسجدى زغالول ودمقسيس . وكلها مجموعات لدور اشتملت على ثلاثة أو أربعة أدوار ، يرجع إنشاء غالبها إلى القرنين الثانى عشر والثالث عشر الهجرى . هذا عدا مجموعة المساجد ، ما بين معلقة وغير معلقة ، حفلت بشتى الصناعات ما بين بناء دقيق بالطوب الملون إلى قاشانى .

ولمنازل رشيد شهرة عظيمة ، فقد امتازت بتصميم خاص وبفن مخصوص ، وهو البناء بالطوب الملون .

وهذه المنازل مرتفعة و بناؤها بالطوب تتخلله ميد خشبية . وقد تنوعت أشغال الطوب الملون والكتابات الكوفية المربعة . هذا عدا أشغال النجارة الدقيقة ما بين خرط ، ومجمع ، وتطعيم . وامتازت الدور من الداخل بالدكك الخشبية الثابتة والدواليب المطعمة بالسن والصدف وأماكن الأغاني المتخذة من خشب الخرط والمطعم بالسن وبسلامها المسحورة . وكسوة الجدران بالرخام والقاشاني . مثل الموجود في منزل محارم بشارع دهليز الملك ، وبالصهاريج المتصلة بفوهات تصلها بالأدوار إلى السطح .

منزل الأماصيلي

ومن الدور الممتازة بها المنزل المعروف بمنزل الأماصيلي المنشأ سنة ١٢٢٣ هـ (١٨٠٨ م) ، وهو من أهم المنازل التي احتفظت بتفاصيلها المعمارية ولم يطرأ عليها تغيير ، ويلفت النظر بابه العمومي بشغل الطوب الملون فيه والتجارة على وجه الدور الأرضي ومجموعة الأخشاب والمغاني بالدور العلوي .

منزل أحمد بياتا الضي المنشأ سنة ١١٢١ هـ (١٧٠٩ م)

ويلفت النظر فيه سقف الحجرة المتخذ من الخشب المحلى بنقوش ملونة أعلى المدخل وأشغال الطوب المنحور الملون بمدخله . والسقف المعقود بالدور الثاني .

منزل المناديلي

ومن المنازل الكبيرة برشيد منزل المناديلي ، وهو من الدور المنشأة في القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) . ولهذا المنزل وجهتان كبيرتان فيهما ماوردات محمولة على عمد ضخمة ، وحول الباب زخارف بالطوب الملون .

وبه من الداخل دواليب مسجورة ، وحجرات نقشت سقفها بالبوية بمنظر تمثل مراكب صيد ، وواجهة مسجد بمنارتيه .

المسجد العباسي

وقد تجلت صناعة الطوب الملون في باب المسجد العباسي على النيل . وهو مسجد امتاز بجمال موقعه كما امتاز بدقة صناعته ، وقد أنشأه السيد محمد بك الطبوزاده سنة ١٢٢٤هـ (١٨٠٩م) وأجل ما فيه باب القبة المتخذ من طوب دقيق ملون ، ومكتوب على بابه الخشبي اسم صانعه الحاج محمد البالي .

طاية قايتباي

ومن أهم الآثار القديمة الباقية في رشيد طاية السلطان قايتباي التي أنشأها سنة ٨٧٦هـ (١٤٧١م) وقد ظلت هذه الطاية تؤدي وظيفتها في الذود عن رشيد إلى أن احتلها الفرنسيون سنة ١٧٩٨ ثم أجلاهم عنها الانجليز سنة ١٨٠١م . وقد أجرى الفرنسيون بها ترميمات وأطلقوا عليها قلعة (جوليان) ، وفيها اكتشف مسيو بوشار أحد ضباط الحملة الفرنسية أثناء الحفر لترميم القلعة في شهر أغسطس سنة ١٧٩٩ الحجر المشهور بحجر رشيد مفتاح اللغة المصرية القديمة . وللجنة حفظ الآثار العربية أكبر الفضل في صيانة منازل رشيد وإصلاحها .

عصر المنصور له محمد علي باشا الكبير

كان لنظام الحكم في عصر الولاة العثمانيين والبكوات أسوأ الأثر في حالة مصر الفنية والأدبية والاقتصادية . فاضمحلت الصناعات والفنون والآداب ، وتأخرت الزراعة قللت الثروة العامة . ولما جاء محمد علي باشا استطاع بحكمته وحسن سياسته أن يبعث في مصر روحاً جديداً وينهض

بها في سنوات معدودات ، فشقت الترع ، وأصلحت الجسور ، وأنشئت المدارس والمصانع لشتى الصناعات ، وكان من أثر رعايته ونهضته هذه أن دبت الحياة في مصر .

وإن مصر لتزدان بجملة منشآت عمارية تحمل اسمه الكريم في نواحي القطر من مساجد وأسبلة ومصانع وحصون ، إلى قصور فقناطر قدار محفوظات قدار ضرب . ودرتها مسجده العظيم الذي يضم جثمانه الطاهر في القلعة ، ويشرف على القاهرة من عليائه ، فتقر عينه بما وصلت إليه من نهضة ومدنية في عهد حفيده الفاروق .

مسجد محمد علي - بالقلعة

كان الشروع في إنشاء هذا المسجد سنة ١٢٤٦ هـ (١٨٣٠ م) ، واستمر العمل بلا انقطاع حتى توفي محمد علي إلى رحمة الله سنة ١٢٦٥ هـ (١٨٤٨ م) فدفن في المقبرة التي أعدها لنفسه بداخل المسجد . انتقل إلى رحمة الله ، وكان المسجد كاملاً عدا زخارفه فأتمها المرحوم عباس باشا الأول ، والمسجد في مجموعه مستطيل ، وينقسم إلى قسمين : الشرقي منها مربع الشكل ضلعه من الداخل ٤١ متراً تتوسطه قبة مرتفعة قطرها ٢١ متراً وارتفاعها ٥٢ متراً من مستوى أرضية المسجد . وكسيت جدرانها من أسفل برخام الألبستر ، وحلى من أعلاه بزخارف ملونة ، والقسم الثاني وهو الصحن تتوسطه فسقية الوضوء ، وبمؤخره برج الساعة التي أهداها إلى محمد علي لويس فيليب ملك فرنسا سنة ١٢٦٢ هـ (١٨٤٥ م) .

وللمسجد منارتان رشيقتان بارتفاع ٨٤ متراً عن مستوى أرضية الصحن . وموقع هذا المسجد من أجمل المواقع ؛ إذ يشرف على القاهرة بمنارتيه الرشيقتين وقبته الكبيرة ترمقه العيون من جميع نواحيها .

قصور محمد علي

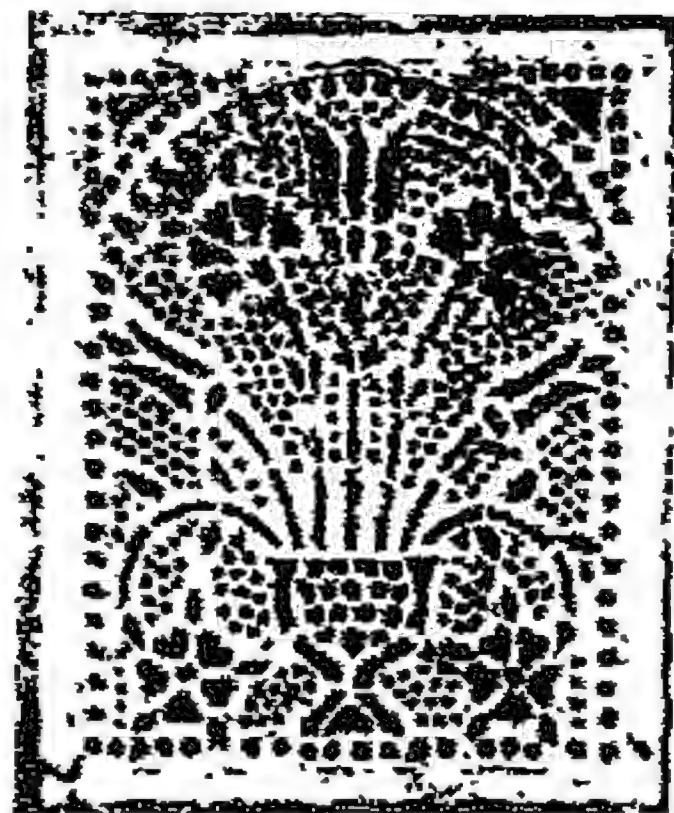
كان للمخفور له محمد علي عدة قصور بالقلعة وغيرها ، وكانت على جانب عظيم من الأهمية مثل قصر شبرا الذي أنشأه بعد سنة ١٢٢٣ هـ (١٨٠٨ م) ، وألحق به بستاناً استورد له الزهور من مختلف

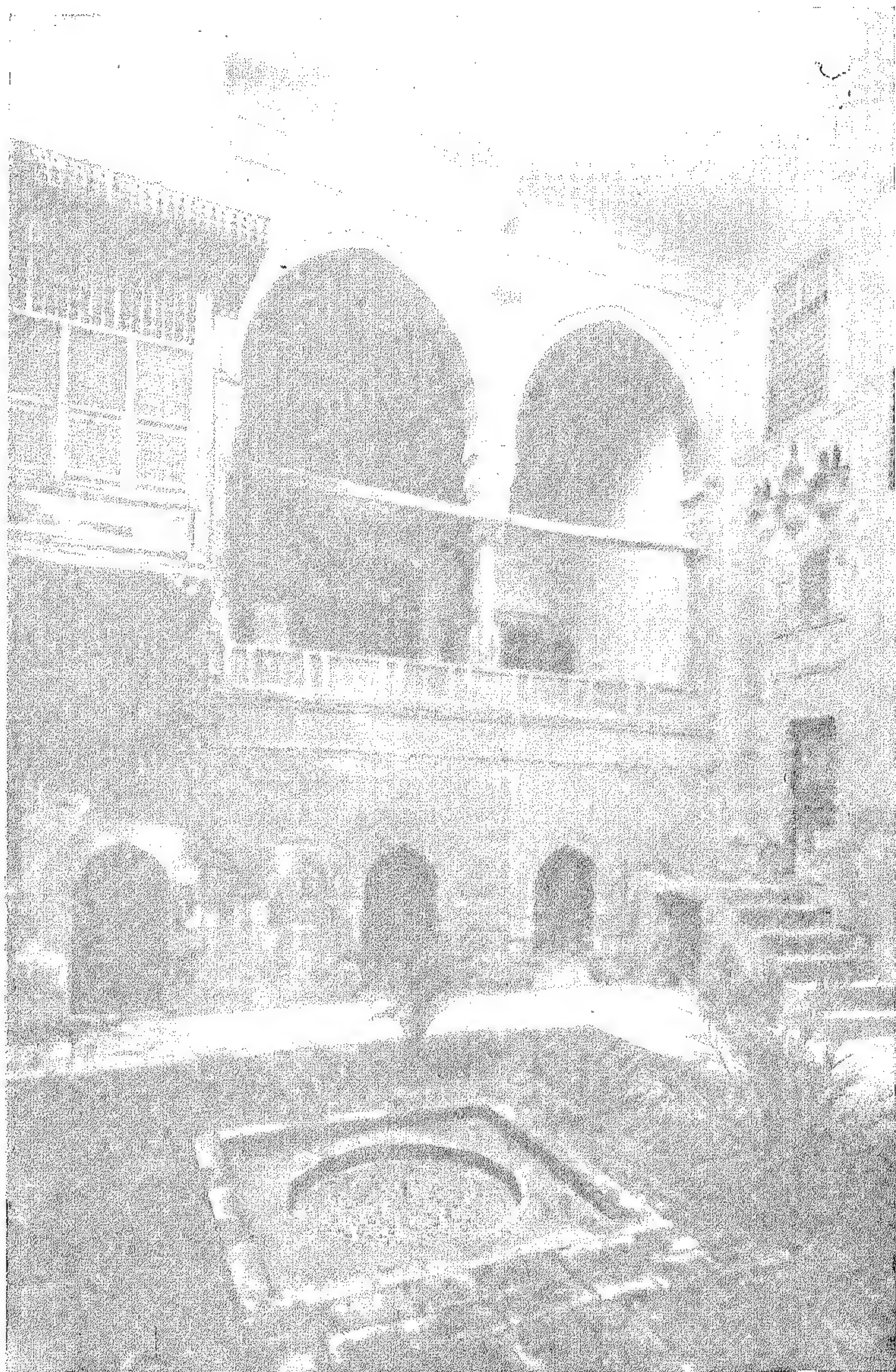
أنحاء العالم . وأنشأ في وسطه كشك القسقية الباقي إلى الآن ، وهو من أجمل وأغنى قصوره .
وقصر الحرم بداخل القلعة والذي أمر بإنشائه سنة ١٢٤٣ هـ (١٨٢٧ م) ، وهو أكمل قصر
من قصوره احتفظ بجميع نقوشه وتفصيله .
أما الكشك المعروف (بقصر الجوهرة) فقد أمر بإنشائه سنة ١٢٢٩ هـ (١٨١٣ م) وهو قبلي
المسجد ، ويشرف على مصر والقاهرة ، وكان مخصصاً لاستقبالات محمد علي ومقرأ للحكم ، وجميع
جدرانه وسقفه منقوشة ، وعلى أعتاب أبواب حجراته نقشت صور الأسطول المصري .
ومكتوب على مدخله : الله ولي التوفيق ، يامفتح الأبواب افتح لنا خير الباب .
وبفضل مولانا جلالة الملك أعيدت نقوش هذا القصر إلى أصلها وقد شمل برعايته بقية القصور
القديمة وأمر بإصلاحها .

مسجد الرفاعي — بميدان صلاح الدين

هذا المسجد أمام مسجد السلطان حسن ، وهو أجمل مسجد أنشئ في العصر الحديث ، أمرت
بإنشائه الرحومة خوشيار هانم والدة المرحوم إسماعيل باشا سنة ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩ م) . وعرف
بالرفاعي نسبة إلى الشيخ علي أبو الشباك المدفون فيه ، وهو حفيد السيد أحمد الرفاعي الكبير .
وبعد أن سارت العمارة شوطاً كبيراً أوقفت ثم استؤنفت ثانياً إلى أن تم واحتفل بافتتاحه في غرة
الحرم سنة ١٣٣٠ هـ (١٩١٢ م) .
وقد أنشئ ليكون مسجداً جامعاً ويلحق به مدافن للمنشئة وأفراد أسرتهما من البيت العلوي ،
ولما توفيت سنة ١٣٠٣ هـ (١٨٨٥ م) دفنت فيه . كما دفن فيه المغفور لهم الخديو إسماعيل وأولاده
والسلطان حسين والملك فؤاد وغيرهم .
وإن الزائر لهذا المسجد ليؤخذ بما حواه من فنون جميلة ، وصناعات دقيقة ، وقد نجح مهندسوه
في محاكاة مسجد السلطان حسن في ضخامته وارتفاعه ، واختار لزيارته الداخلية من كل أثر أحسنه ،
حتى كوّن منه درة بين المساجد الحديثة .

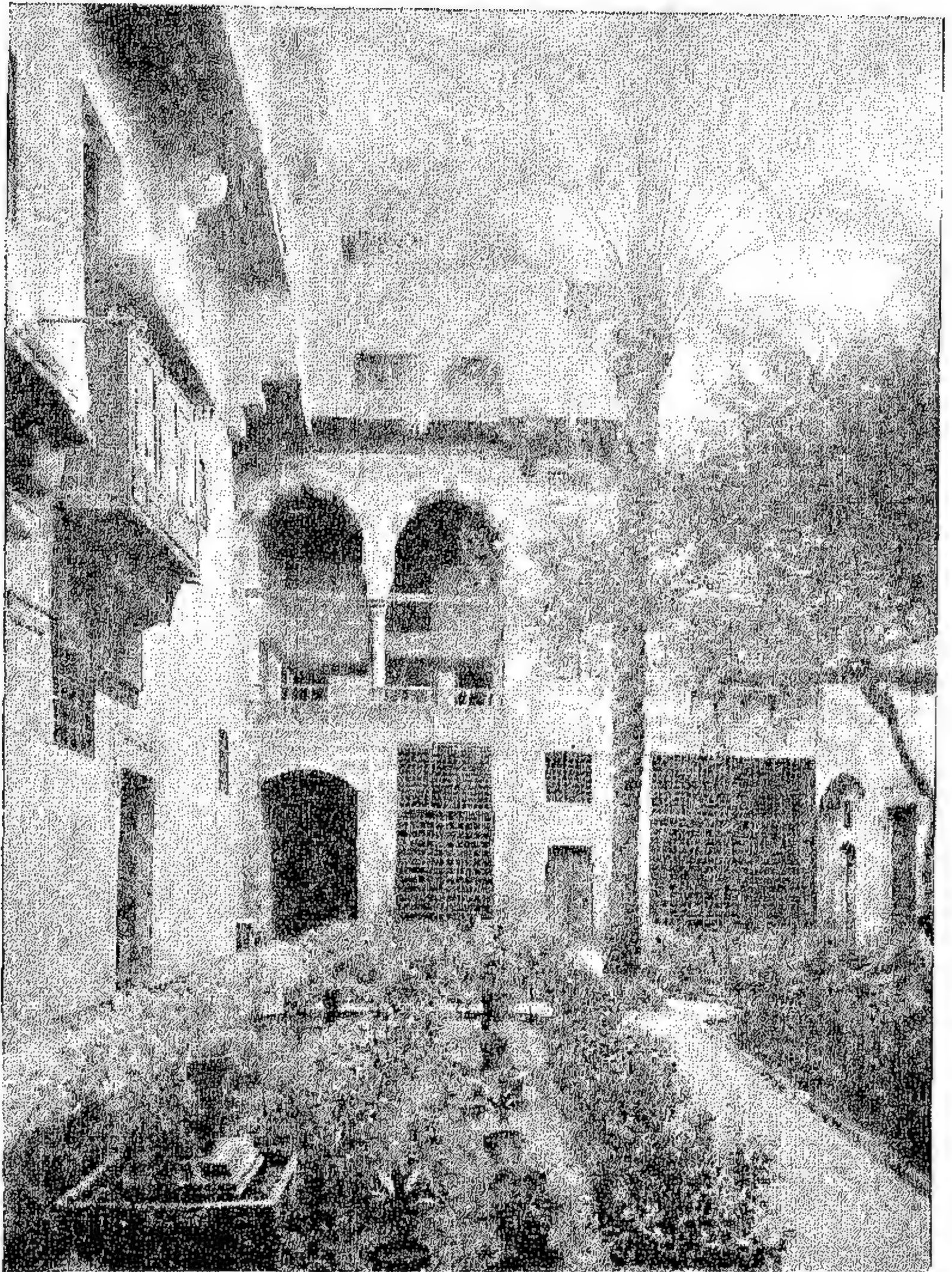
وإذا كان لمنشئ الآثار في مختلف عصورها فضل تشييدها ، فلبيت العاوى الكريم فضل المحافظة
عليها وصيانتها . فما من أثر من آثار مصر إلا ناله من هذا البيت إصلاح وتدعيم ، حتى أصبحت
في عهد « الفاروق » فخر الآثار الإسلامية وعنوان مجدها .
حفظ الله الملك المفدى ، وأعزّه به الإسلام ، وأعلى به منار الدين ؟



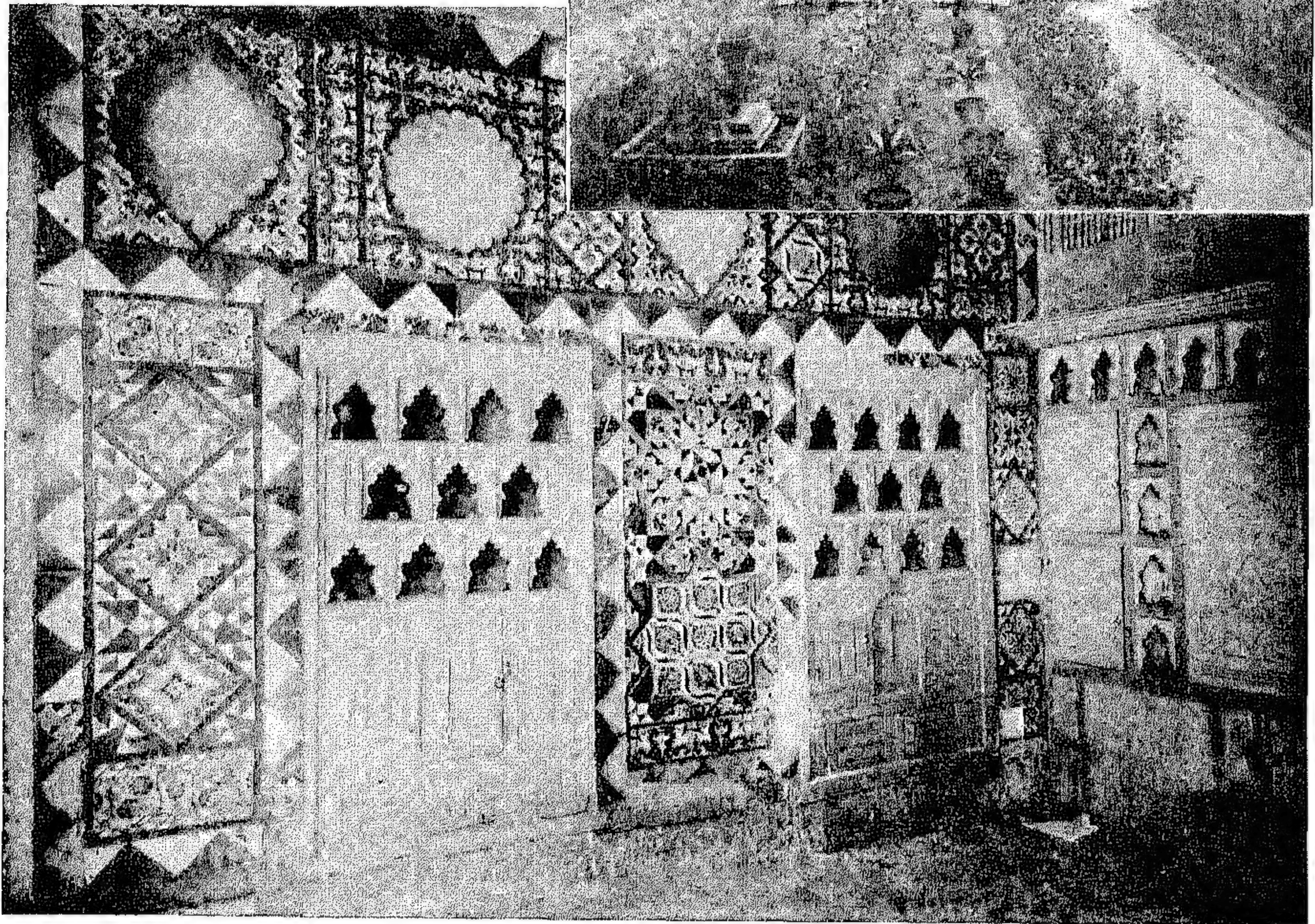


مقعد بداخل منزل جمال الدين الذهبي

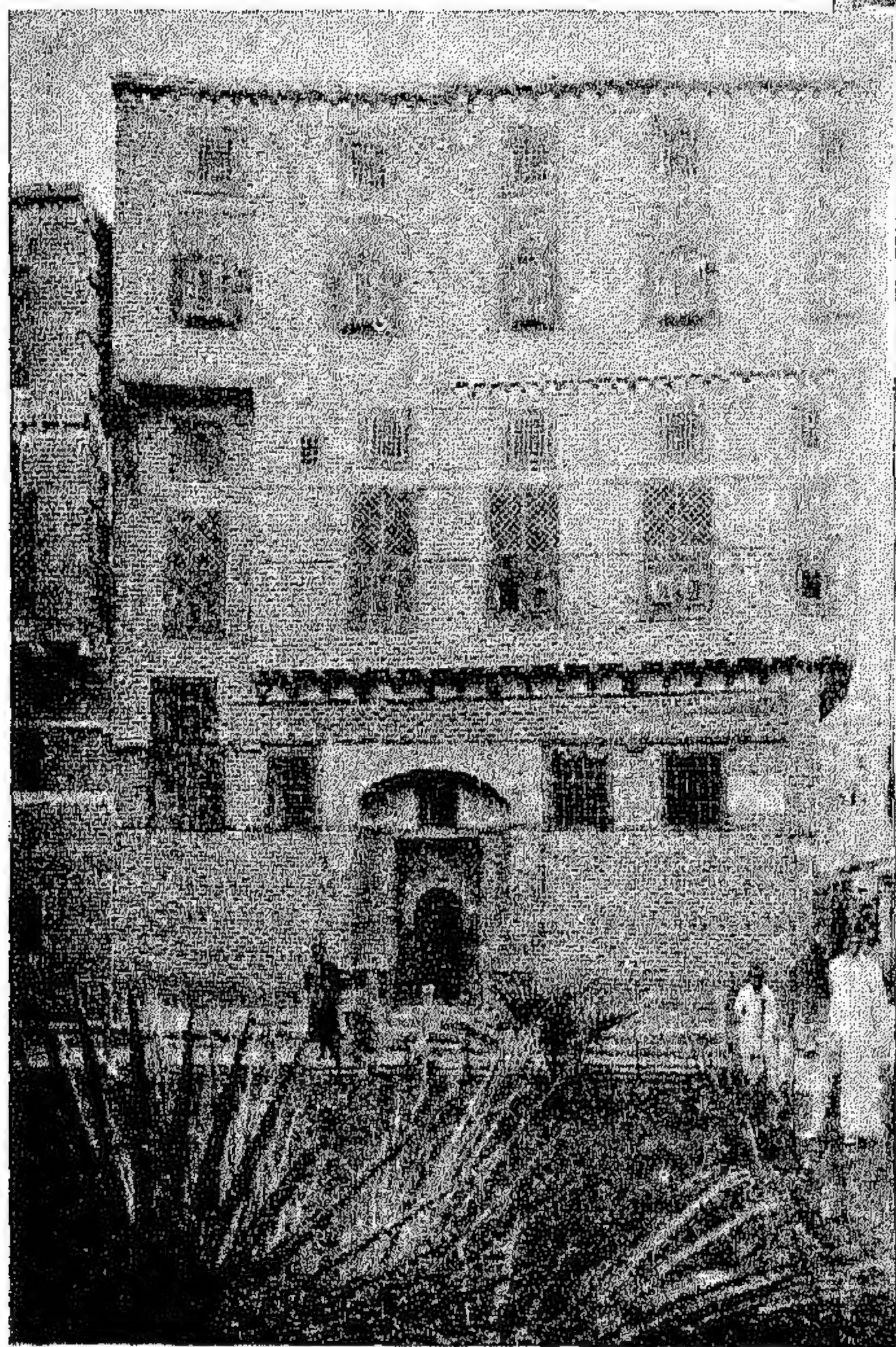
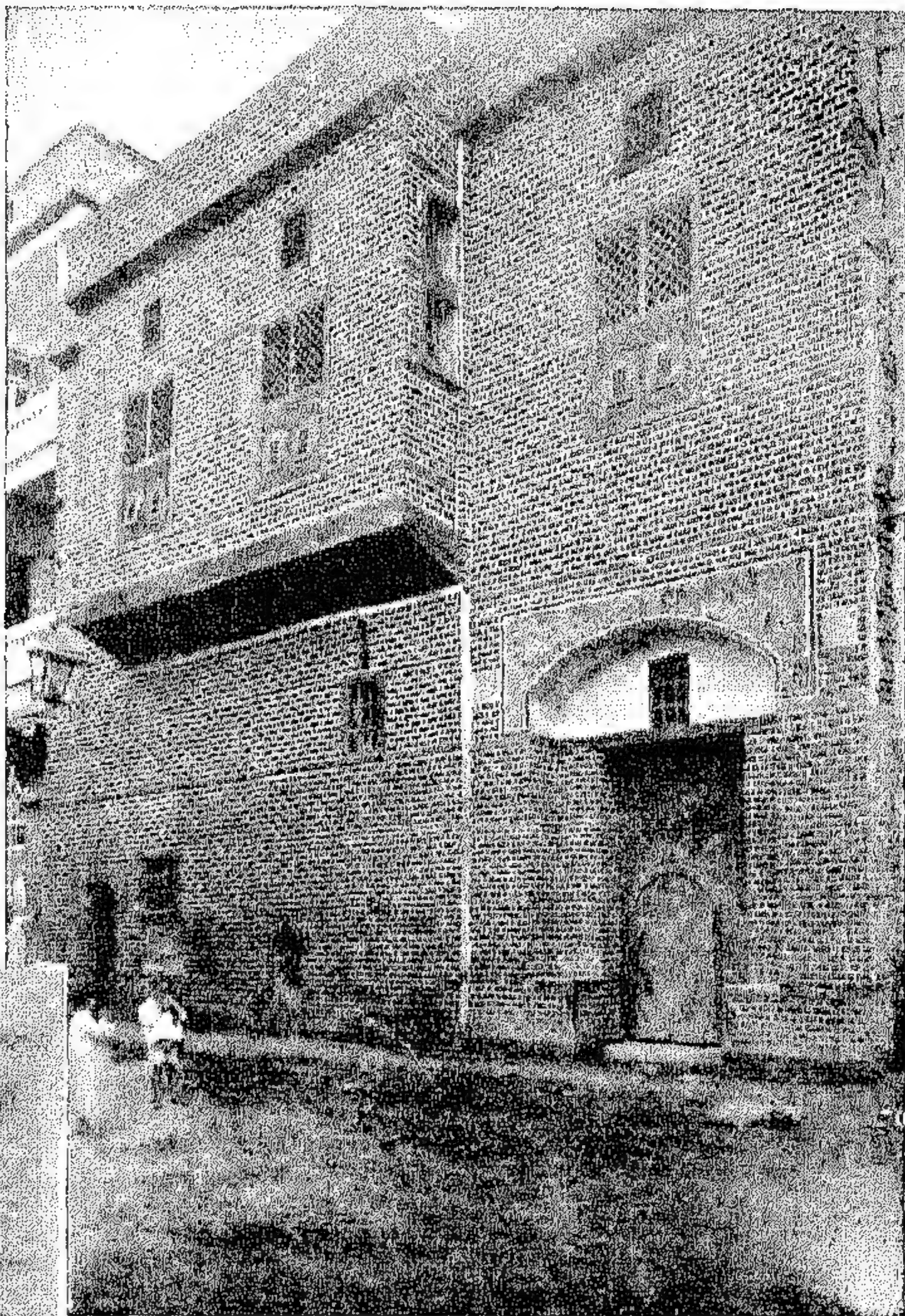
مقعد بداخل منزل السحيمي



تفاصيل من قاشاني بمنزل محارم برشيد

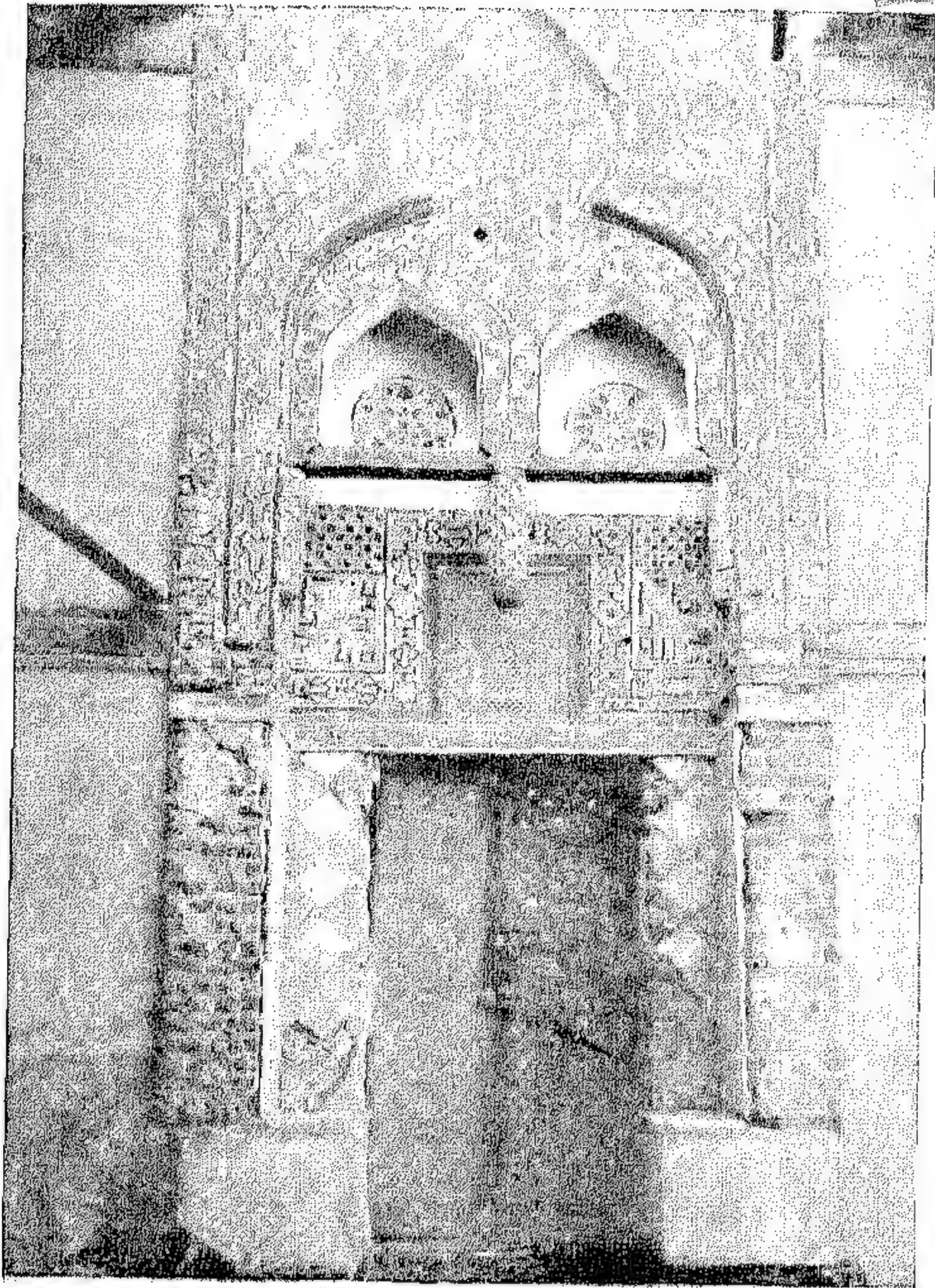
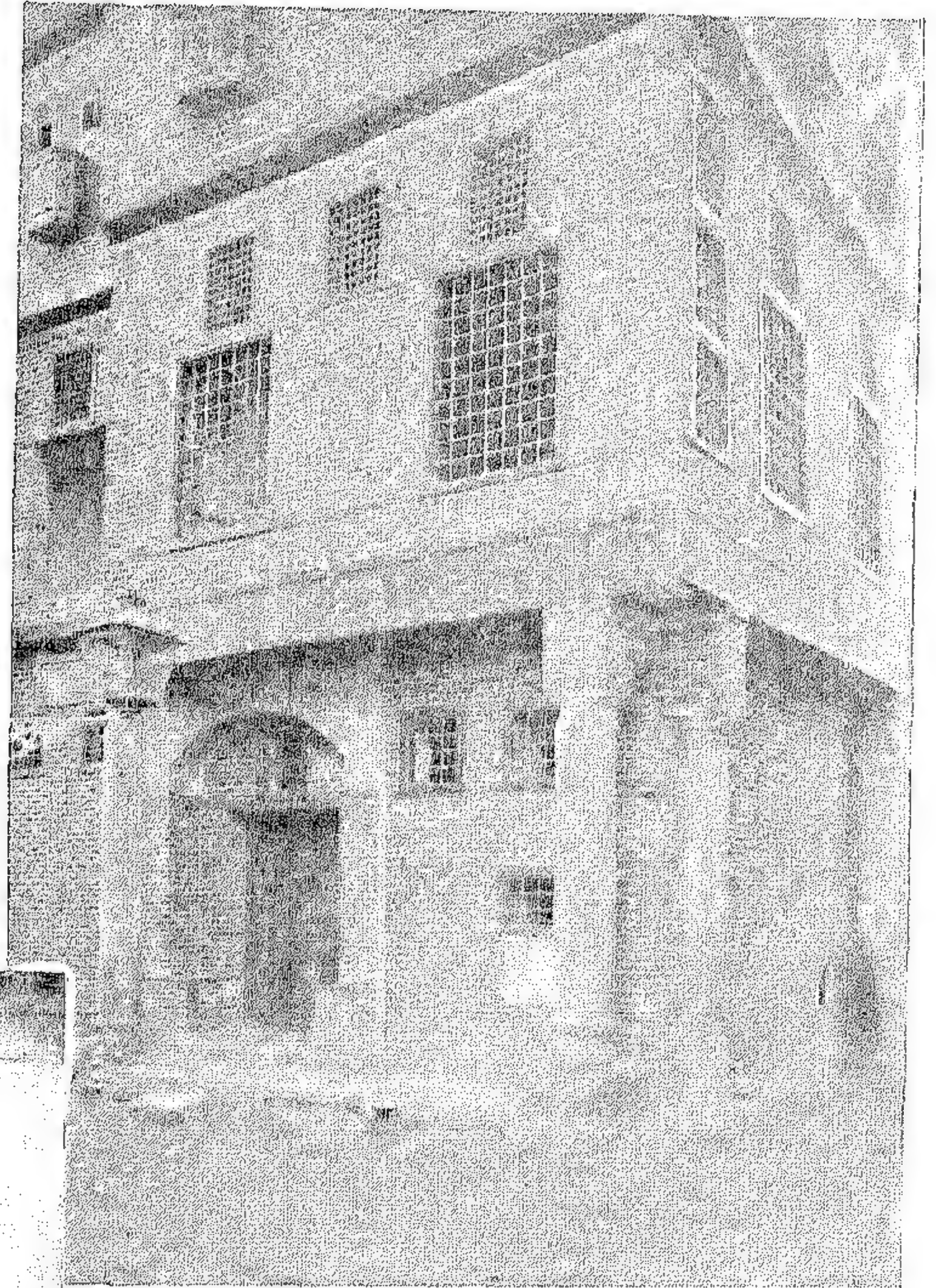


وجهة منزل أحمد باشا الضيّ برشيد



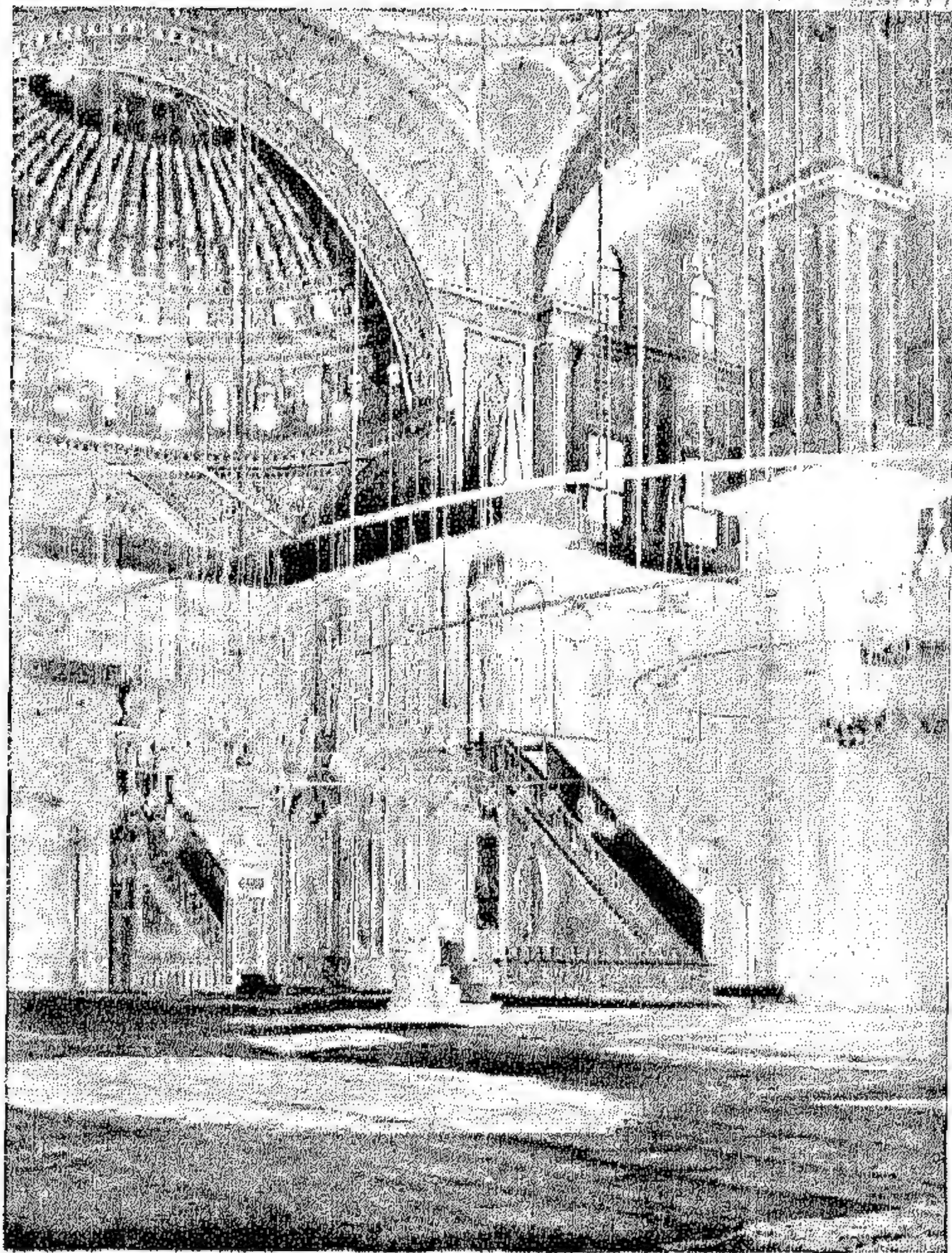
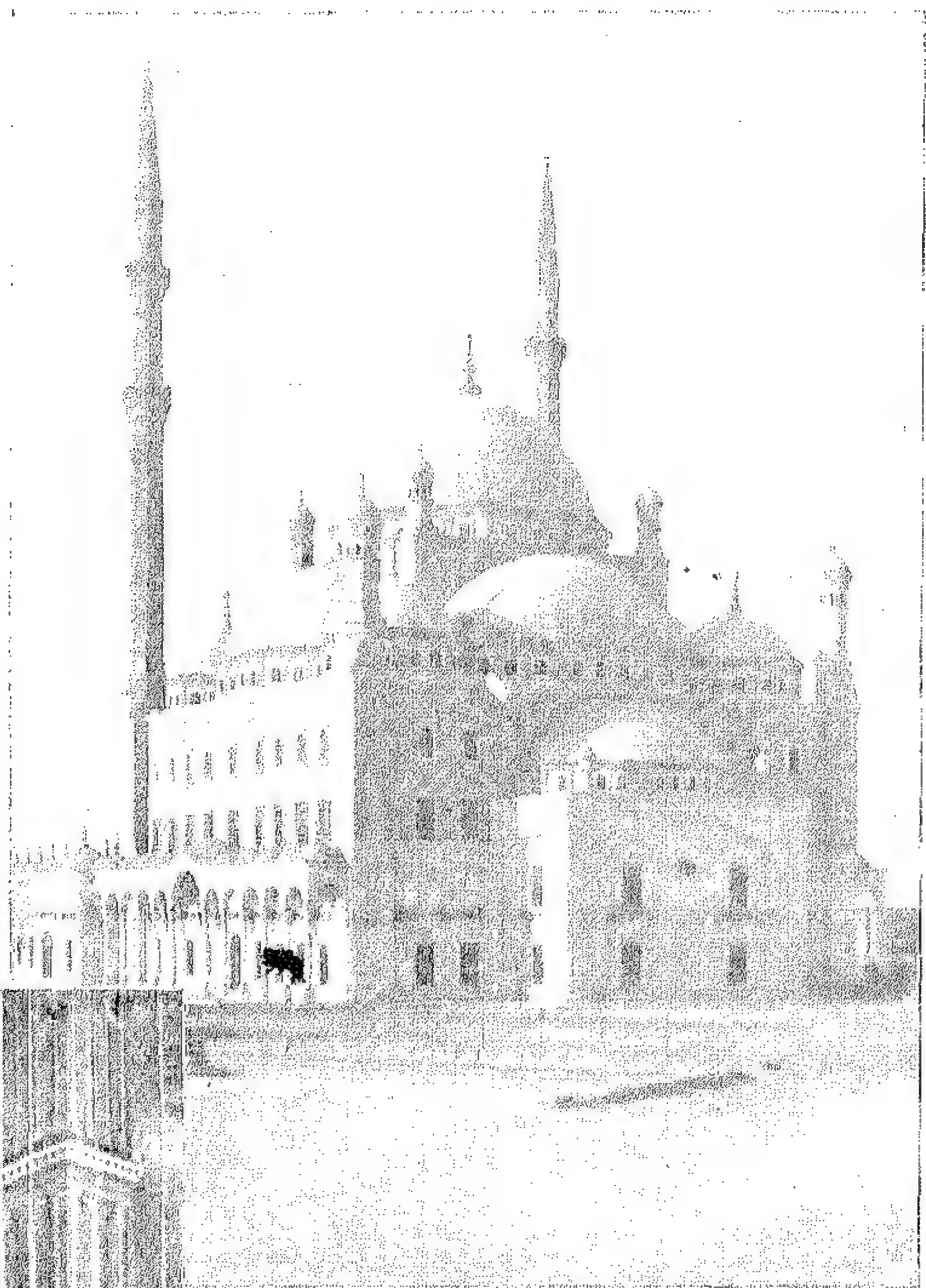
وجهة منزل الأمصيلي برشيد

منزل المناذيلي برشيد

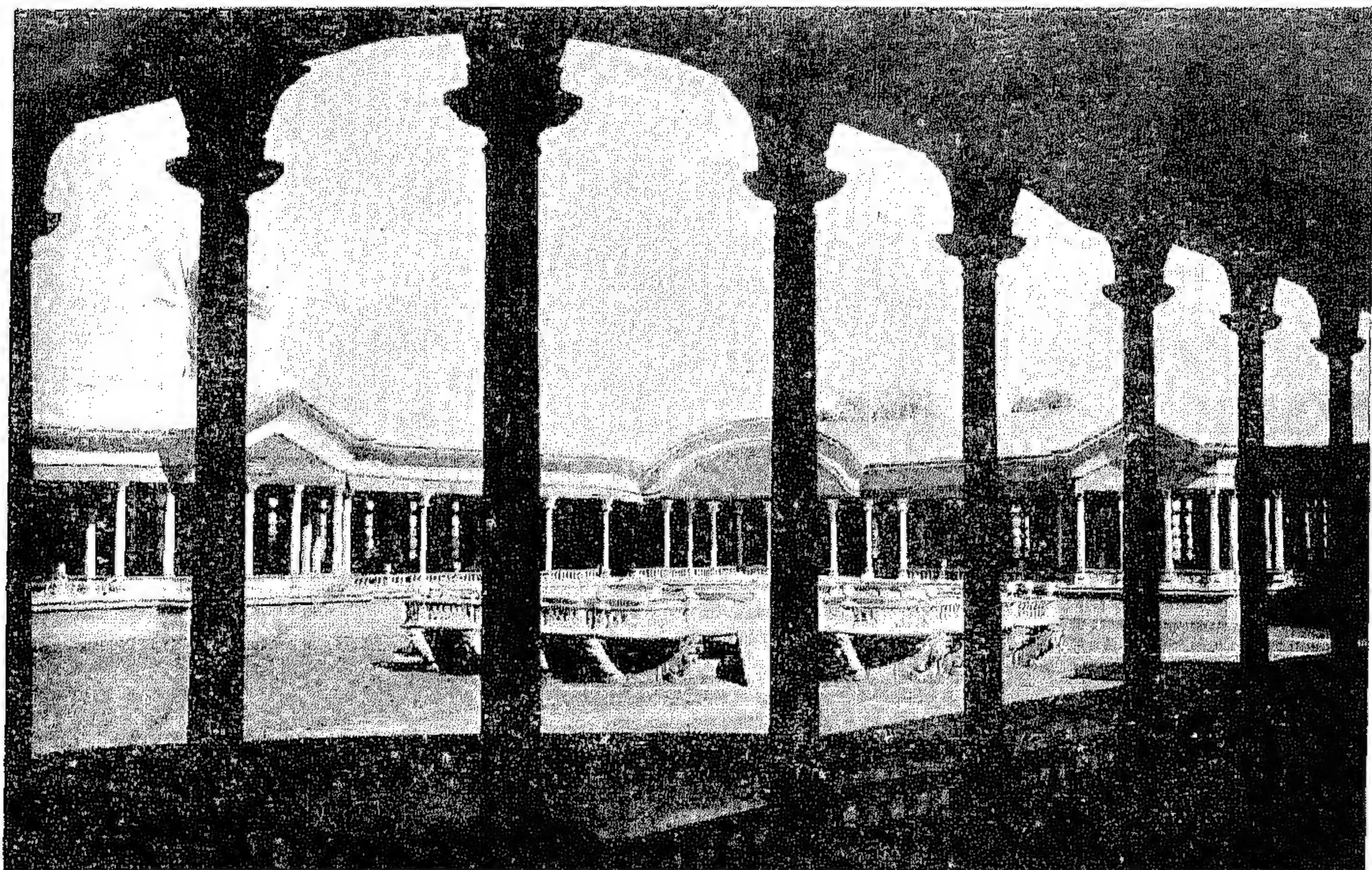


باب القبّة بالمسجد العباسي برشيد

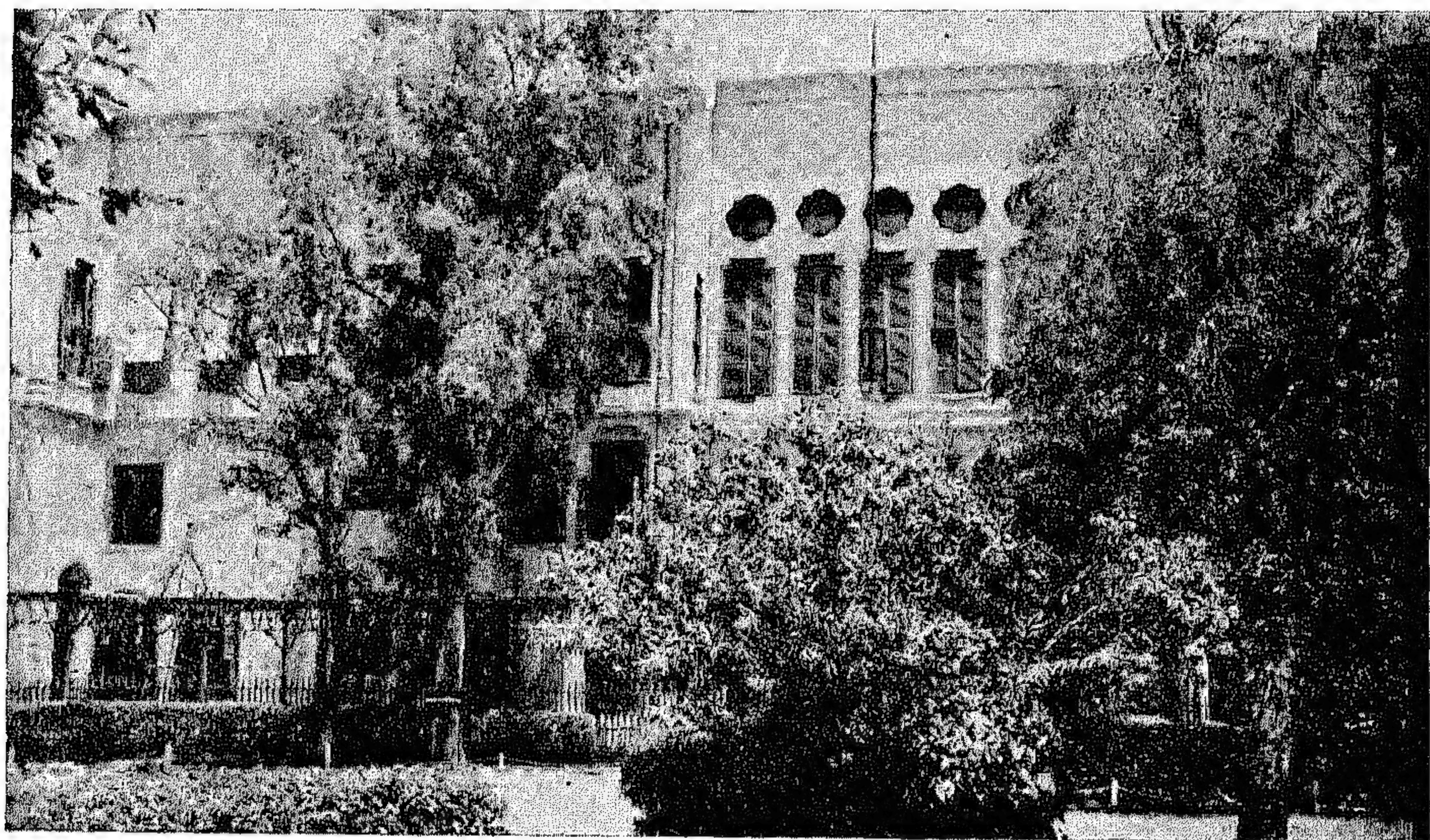
مسجد محمد علي باشا بالقاهرة



داخل مسجد محمد علي باشا بالقاهرة



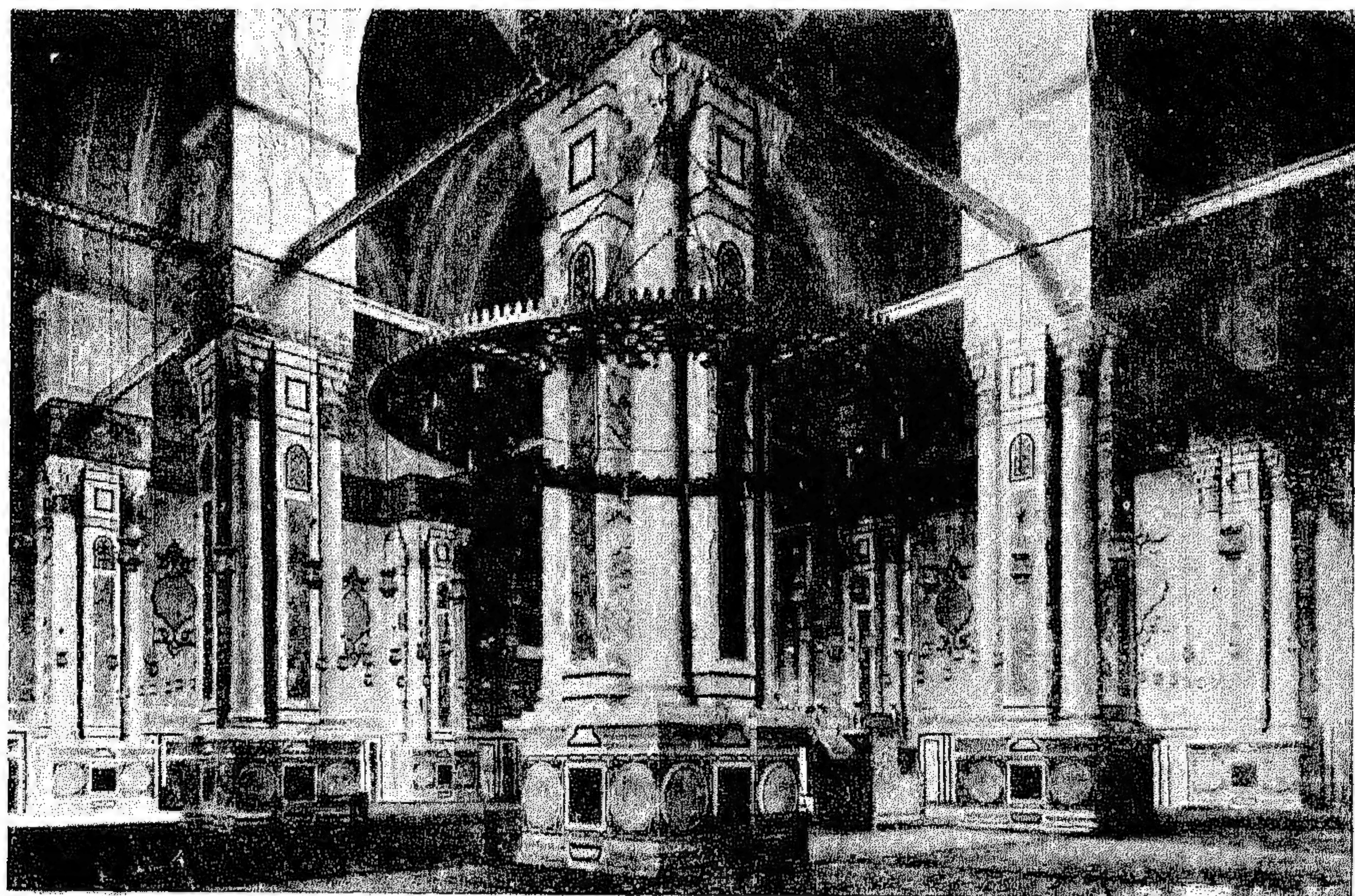
الفسقية بقصر محمد علي باشا بشبرا



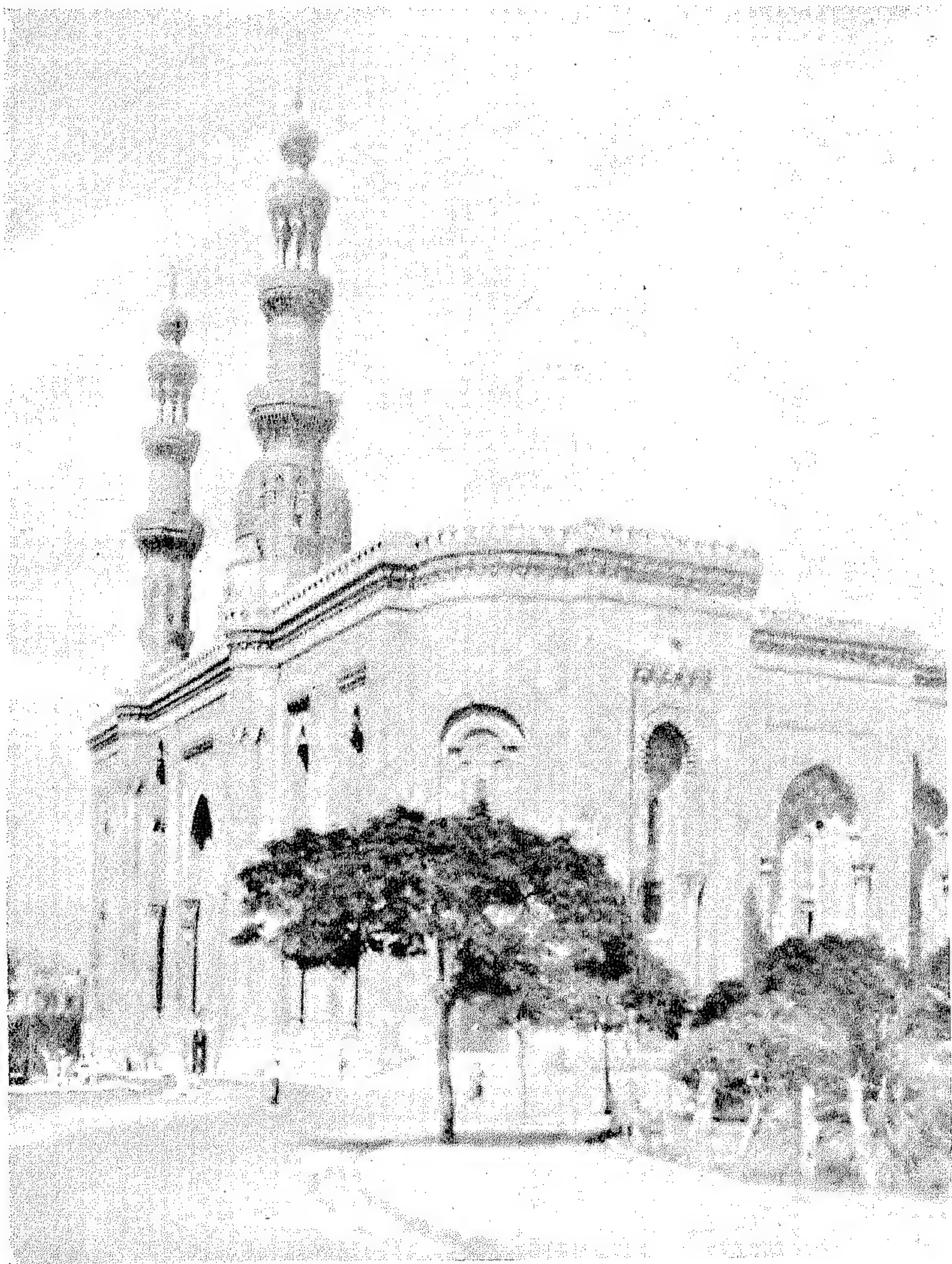
وجهة قصر الحرم بداخل القلعة



داخل كوشك محمد علي (تصير الجوهرة)



داخل مسجد الرفاعي



وجهة مسجد الرفاعي

